



إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

روايات
مصرية
للجيب



كهف الشيطان



RASHID

WWW.DVD4ARAB.COM

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى: ١٩٨٥ - القاهرة - ٩٨٥

١ — السيد الكبير ..

اجتمع حشد كبير ، من رجال الصحافة والإعلام ، بقاعة الاجتماعات العلمية الكبرى ، التابعة لمفاعل (وادى النطرون) ، فى انتظار وصول الدكتور (يحيى سالم) ، المشرف على تشغيل المفاعل ؛ ليشرح بعض الحقائق ، المتعلقة بذلك الصرح العلمى الحديث ، وأخذ الجميع يتناقشون ويتجادلون ، حول فوائد المفاعلات النووية ومخاطرها ، حتى وصل الدكتور (يحيى) ، مع مجموعة من زملائه ، واعتلى المنصة الرئيسية ، وبدأ حديثه ، قائلاً :

— يسعدنا أيها السادة تشريفكم لنا ، فى المفاعل الحرارى الأول فى (مصر) ، والذي تم إنشاؤه خلال السنوات الثلاث الماضية ، فى (وادى النطرون) .. ولن أستفيض فى تفاصيل فنية ، أو علمية معقدة ، إذ سأترك هذه المهمة لزملائي المتخصصين ، أما أنا فسأحاول شرح طبيعة عمل هذا المفاعل بأسلوب مبسط مختصر .. إن المفاعلات الحرارية تعتبر وسيلة

أكثر تقدماً من المفاعلات الذرية والنووية ، وهى كذلك أكثر أمناً ؛ لأنها لا تعتمد على أية مواد مشعة ، وإنما على اختزان الطاقة الحرارية الشمسية ، بكميات ضخمة ، ثم تحويلها إلى طاقة هائلة ، تمرّ بعمليات أكثر تعقيداً ، سيقوم زميلى الدكتور (حسام) بشرحها لكم بعد قليل ، ومزية العمل هنا ، هى أنه يعتمد كليةً على الكمبيوتر ، حيث يتم حساب معدلات الطاقة بدقة بالغة ، والكمبيوتر المسئول عن تنظيم عمل المفاعل ، يمكنه بث برنامجه على موجة لاسلكية مغناطيسية ، عبر عشرات الكيلومترات من موقع المفاعل ذاته ، وذلك احتياطياً لاحتمال نقل الإدارة إلى العاصمة مثلاً ، إذا ما اقتضت أية ظروف ذلك ، وذلك بالإضافة إلى المميزات الأخرى ، مما يجعلنا نقول إننا قد اقتحمنا حقاً عالم ما بعد سنة ألفين ..

انتهى الدكتور (يحيى) من شرحه ، وبدأ زملاؤه فى شرح التفاصيل الفنية ، على حين وقف أحد الفنيين العاملين بالمفاعل يراقب فى عصبية ، ارتجفت لها فكّه ، شخصاً ألدسّ وسط الصحفيين ، وراح يحدّجه بنظرات ثابتة ثاقبة ، ولم يكده المؤتمر ينتهى ، حتى استقل ذلك الشخص سيارته ، وأسرع الفني المصرى يستقل سيارة أخرى ، ويتبعه عن كثب ، حتى

أوقف الأول سيارته فى منطقة صحراوية ، وارتكن على مؤخرتها ، يدخن سيجارته فى ثقة وهدوء ، حتى توقفت إلى جواره سيارة الفني المصرى ، الذى بدا شديد الاضطراب ، وهو يتّجه إليه ، قائلاً :

— ما الذى تريدونه منى بالتحديد ؟

أجابه الرجل بابتسامة خبيثة :

— هل سنعيد ما سبق أن قلناه يا دكتور (فوزى) ؟ ..
إننا نريد مساعدتك ؛ للاستيلاء على كمبيوتر التحكم فى إدارة المفاعل الحرارى .

هزّ الدكتور (فوزى) رأسه ، وكأنه يرفض الاعتراف بما سمعه ، وقال :

— ولكن هذا جنون ! .. إنكم تطلبون المستحيل !

أجابه الرجل فى لهجة تحمل التهديد والوعيد :

— ولكنه يساوى حياة ابنك ، الذى نحفظ به .. إن ابنك (حسام) لن يعود إليك سالمًا أبداً ، ما لم تساعدنا فى الحصول على الكمبيوتر ، وأية محاولة منك لإبلاغ الشرطة ، أو أية جهات أمنية أخرى ، ستعنى مصرع ابنك بالضرورة ، فمنظمتنا قوية للغاية ، أقوى بكثير مما تتصور ، وهى قادرة دومًا على تنفيذ تهديداتها فى يسر وسرعة .

تقلّصت عضلات وجه الدكتور (فوزى) ، وهو يقول :
— وما الذى ستفعلونه بالجهاز ؟
ألقى الرجل بقايا سيجارته ، ودّاسها بقدمه فى قوّة ، وهو
يقول فى برود :

— ليس هذا من شأنك .. نفذ ما نطلبه منك فحسب .
قال الدكتور (فوزى) فى توسّل :
— أرجوك .. اطلب أى شىء آخر .. لا يمكننى تنفيذ ما
تطلبونه أبداً .

دلف الرجل إلى سيارته ، متجاهلاً توسّلات الدكتور
(فوزى) ، وقال فى صرامة :

— غداً ستقل الكمبيوتر بسيارتك ، إلى المنطقة التى
حدّدها لك ، فى الثانية عشرة مساءً ، حيث سينتظرك رجالنا
فى سيارة (لاندروفر) ، فيتسلمون الجهاز ، ويسلمونك
ابنك ، ولو أنك لم تحضر حتى الثانية عشرة والربع ، أو أبلغت
جهات الأمن ، فلن تحصل إلا على جثة ابنك .

ثم انطلق بالسيارة ، تاركاً الدكتور (فوزى) فى حالة
يُرثى لها .

استقبلت فتاة حسناء ، فى إحدى معارض السيارات
الفاخرة فى (بروكسل) ، عاصمة (بلجيكا) ، ثلاثة رجال
يلوح الشرّ والقسوة فى ملامحهم ، على الرغم من مظهرهم
الأرستقراطى وأعمارهم المتقدمة ، وهم يرتدون معاطفهم
الثقيلة ، على الرغم من أن الطقس لم يكن بارداً ، بالدرجة التى
تستلزم ذلك ..

ولقد حيّتهم الفتاة بابتسامة جذابة ، وهى تقول :
— مرحباً بكم فى معرضنا أيها السادة .
ظلّ اثنان منهم على جمودهم ، بلا أية تعبيرات ، على حين
بدا الثالث أكثر تودّداً ، وهو يتسم ابتسامة متكلفة ، ويخلع
معطفه ؛ ليقدمه إلى الفتاة ، قائلاً :

— أهلاً بك يا (سوزان) .. هل وصل الجميع ؟
تناولت معطفه ، وهى تقول :
— إنهم ينتظرون حضوركم يا ميسيو (لوبان) .
قال (لوبان) ، وهو يسوّى هندامه ، أمام المرأة :
— أظننا لم نتأخر عنهم كثيراً .

هرّول نحوهم ، فى تلك اللحظة ، رجل فى الأربعينات من
عمره ، شديد التألق ، تعلو وجهه ابتسامة كبيرة ، وهو
يقول :

— مرحبًا بكم أيها السادة .. لقد كان السيد الكبير قلقًا ،
لعدم حضوركم في الموعد .
وأسرع يعاون الآخرين على خلع معطفيهما ، على حين
غمغم (لوبان) .

— السيد الكبير يُبدي اهتمامًا بالغًا بالمواعيد دومًا .
غمغم أحد الرجلين الآخرين ، وهو قصير القامة ، حادُّ
القسمات ، مقوَّس الأنف ، قائلاً :

— هل السيارة معدة ؟

أجابه (لوبان) مبتسمًا :

— وعلى أحدث طراز .

ثم التفت إلى الفتاة ، مستطرِّدًا :

— اصحبهم لمشاهدة السيارة الحمراء يا (سوزان) .

ضغطت الفتاة زرًّا صغيرًا في ساعتها ، ولم تكد تفعل حتى
ندت تكة خافتة ، دارت على إثرها مرآة الحائط ، لتكشف
فجوة كبيرة خلفها ، أشارت إليها الفتاة ، قائلة في نعومة :
— تفضلوا .

تقدّمهم داخل الفجوة ، ثم أغلقها خلفهم ، فساد ظلام
تام ، سرعان ما بدده الضوء ، ليكشف عن سيارة حمراء

أنيقة ، من طراز فاخر ، استقرت فوق قاعدة رخامية
مستديرة ، تتوسط المكان ، وترتفع بمسافة خمسة عشر
سنتيمترًا تقريبًا ، وقالت الفتاة للرجال ، الذين بدؤوا وكأنهم
قد اعتادوا مثل هذه الأمور :

— تفضلوا بالركوب أيها السادة .

جلس المتجهمان في المقعد الخلفي ، على حين جلس
(لوبان) في المقعد الجاور للسائق ، ووضع كفيه خلف
رأسه ، وكأنما يجلس على شاطئ البحر ، وأدارت الفتاة محرك
السيارة ، وبدلًا من أن تدور السيارة نفسها ، دارت القاعدة
الرخامية كلها ، وهبطت بالسيارة إلى أسفل ، وكأنها مصعد
من نوع خاص ، حتى استقرت داخل قاعة سرّية في باطن
الأرض ، وهنا هبطت الفتاة في رشاقة ، وفتحت أبواب
السيارة ، وقالت مبتسمة :

— أظنكم تعرفون طريقكم من هنا ، وأنا على استعداد
لإعادتكم ، بعد انتهاء الاجتماع ، وورود إشارة السيد
الكبير .

ابتسم (لوبان) ، وهو يقول :

— شكرًا يا (سوزان) .

عادت (سوزان) تستقل السيارة ، التي ارتفعت بها مرة أخرى عن سطح الأرض ، على حين تقدم الرجال الثلاثة إلى داخل القاعة ، حيث جلس عدد من الأشخاص ، حول مائدة مستطيلة ، يجلس على قمتها رجل شاحب الوجه ، أشيب الشعر ، غائر الوجنتين ، متألق العينين ، على نحو يوحي بالحيوية ، وبذكاء غير عادى ، ولم يكد ذلك الشخص يلمح الرجال الثلاثة ، حتى قال فى صرامة ، وهو يشير إلى ساعته :
— لقد تأخرتم عشر دقائق عن موعدكم أيها السادة .

غمغم (لوبان) :

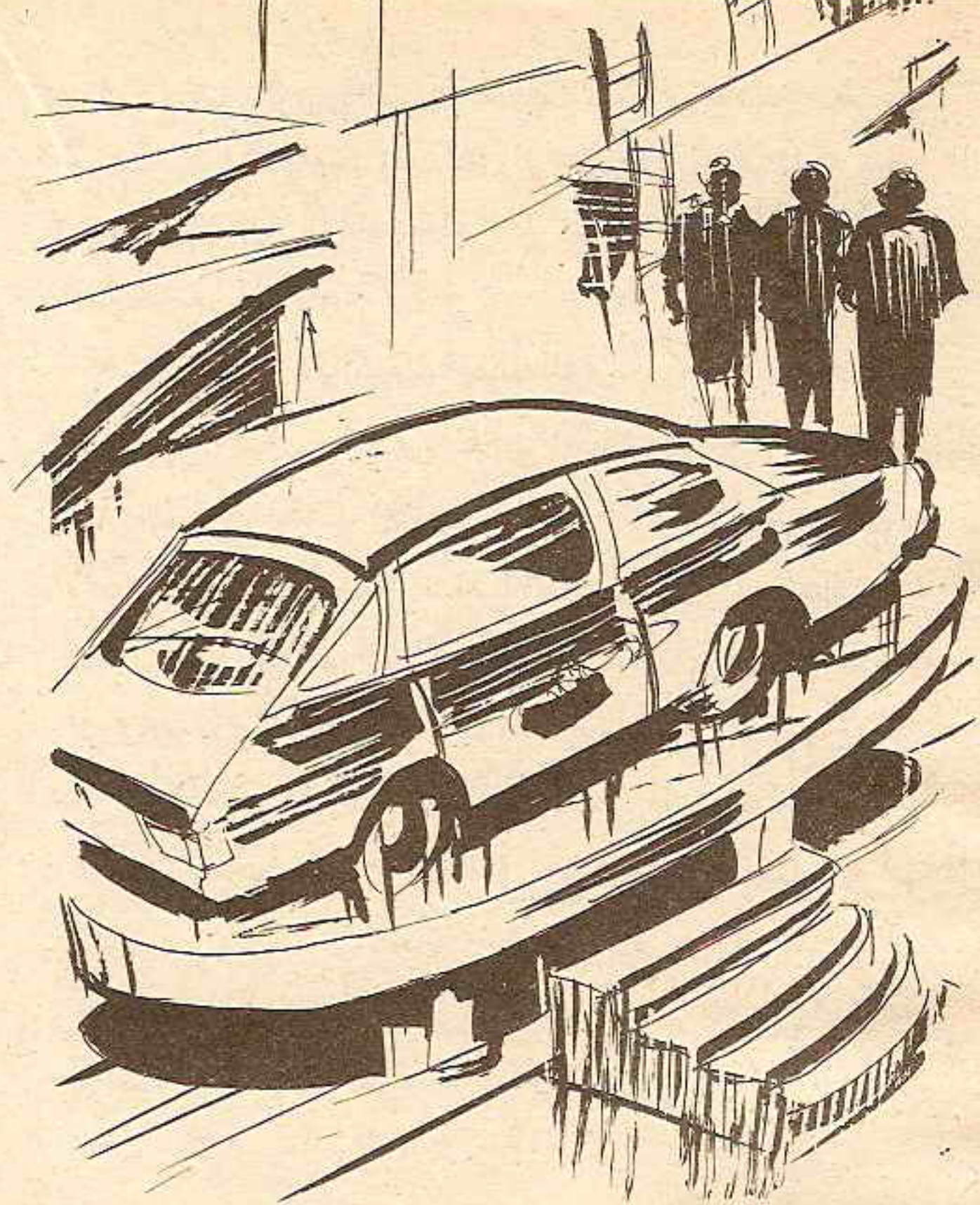
— عفوا أيها السيد الكبير ، لقد كانت لدينا مشكلة ...
قاطعه السيد الكبير فى حزم :

— من حسن حظكم أن الاجتماع لم يبدأ بعد ، وإلا فما سمحت لكم بالدخول قط .

عاد (لوبان) يغمغم :

— أرجو قبول اعتذارنا أيها السيد الكبير .

أشار إليهم السيد الكبير بالجلوس ، وتابعهم ببصره ، حتى استقروا فى أماكنهم ، ثم خيم على المكان صمت مطبق مهيب ، وتراجع السيد الكبير بمقعده المتحرك إلى الخلف ، وشبك أصابع



— تفضلوا بالركوب أيها السادة ..

كفَّيه أمام صدره ، وتطلَّع إلى العيون ، التى تحمل له كل
التقدير والمهابة والاحترام ، ثم قال فى صوت عميق مخيف :
— والآن يبدأ الاجتماع .

وخيل للجميع أن الشيطان قد أطلق ضحكة مخيفة فى
قلوبهم ..



٢ — خُطة الشَّيطان ..

كان صوت الرجل القوى ، يتعارض فى شدة مع جسده
المصاب بشلل نصفى ، وهو يقول :

— لقد قال أحدكم إن منظمة (الكوبرا) قد صارت
خاملة ، منذ توليت رئاستها ، وأنه منذ عملية (مدريد)
الآخيرة ، صار عقلى مشلولاً كجسدى .. أليس كذلك
يا عزيزى (مورفى) ؟

تأمل أحد المتجهِّمين فى مقعده ، وهو يغمغم فى
اضطراب :

— إننى لم أقصد هذا المعنى ، أيها السيّد الكبير ، وإنما ..
قاطعه الرجل فى صرامة :

— بل قصدته يا عزيزى (مورفى) .. إن مرضى لم يبلغ عقلى
أو قوة سمعى .. إننى أفهم ما يعنيه كل منكم ، تمامًا مثلما فهمت
مغزى ما قاله زميلك (مورجان) ، حينما أشار فى (شيكاغو)
إلى أن الأفعى قد فقدت أنيابها ، ومالت إلى الوداعة .. أليس
هذا ما قلته يا (مورجان) ؟

راح المتجهّم الآخر يجفف عرقه في توتر ، على حين
استطرد الرجل :

— سأتغاضى عن هذه التعليقات السخيفة ، التي تتناقض
مع مبدأ الولاء ، الذي أقسمت عليه ، فأنتم لم تعتادوا أسلوبى
بعد ، وينبغى أن تعلموا أننى أختلف كثيراً عن سلفى ، على
الرغم من أننى كنت أحد أعوانه المقربين ، فلست أقنع
بالعمليات الصغيرة ، مهما كان عائدها ، فهى لا تساوى
الجهد المبذول فيها ، على الرغم من مخاطرها ، ثم إنها تحمل
تهديداً أكثر بهتاً سرّية عملنا الشديدة ، خاصة وأنّ كلاً
منكم يتبوأ مكانة مرموقة في المجتمع ، لم يكن ليصل إليها لولا
نفوذ المنظمة ، وأموالها الغزيرة ، ونحن نفعل ذلك لأننا نحتاج
إلى رجال مرموقين ، بعيدين عن الشبهات دوماً ، وأسلوبى
يعتمد على التركيز على عمليات قليلة ، وافرة الربح ، تستحق
الجهد المبذول فيها ، وتعود بعائد مادّى ضخّم ، ومثل هذه
العمليات يحتاج إلى الوقت والدراسة .

قال أحد الحاضرين :

— لقد كانت آخر عملياتنا هى عملية (مدريد) أيها
السيد الكبير ، وكان ذلك منذ عامين ، وبعدها توقفت

عملياتنا تماماً ، على الرغم من أننا ندفع اشتراكاتنا الشهرية
بانتظام ، وعلى الرغم من كثرة الأعباء ، التي نتحملها بسبب
عضويتنا في منظمة سرّية ، مثل (الكوبرا) ، كمصاريف
الحراس والأسلحة ، والمضاربات المالية .
ابتسم السيد الكبير ، وهو يقول :

— وكم تبلغ كل تلك المصاريف ، خلال العامين
الماضيين ؟ .. أربعمائة ألف دولار !! .. حسناً .. عملياتنا
القادمة وحدها ستربح كلاً منكم خمسة ملايين دولار ، وفي
خمسة أيام فقط .

تطلع إليه الجميع في دهشة ، على حين استطرد هو في
زهو :

— لقد أنشأت (مصر) أول مفاعل حرارى في الشرق
الأوسط ، وهو يعتمد في إدارته على كمبيوتر خاص ، ولقد
أصبح هذا الكمبيوتر في حوزتنا ، منذ اثنتى عشرة ساعة ،
بفضل مجهودات (كارم) .. أحد أعضاء منظمنا البارعين .
تحوّلت أنظار الحاضرين إلى رجل متوسط القامة ، له لحية
وشارب قصيران ، وتبدو إحدى عينيه أكثر ضيقاً من
الأخرى ، وعلى وجهه سمات الهدوء واللامبالاة ، على حين
تابع السيد الكبير حديثه ، قائلاً :

— لقد كلفت مستر (كارم) الاستيلاء على الكمبيوتر ،
بعد أن انتهى المصريون من إنشاء مفاعلهم الحرارى فى (وادى
النطرون) ، ولقد برزت تلك الفكرة فى رأسى منذ عامين ،
عندما بدأ المصريون فى الإعداد لمشروع مفاعلهم ، ودرست
الفكرة جيّداً ، دون الرجوع إلى أحدكم ، حتى وقع اختيارى
على (كارم) ، وحرصت على أن يمارس دوره سرّية تامة ،
وأعتقد أن هذا يعطىكم فكرة عن أسلوبى فى العمل .

غمغم (مورجان) ، البذى لم ينجح فى التخلص من
تجهّمه :

— وما الذى نستفيدة من سرقة كمبيوتر المصريين ؟
مشط السيد الكبير شعره الأشيب بأصابعه ، وهو يقول :
— إننا سنطالب الحكومة المصريّة بمائة مليون دولار ،
مقابل استرداد الجهاز .

قال (لوبان) فى حيرة :
— وهل تعتقد ، أيها السيد الكبير ، أن الحكومة المصريّة
ستكون مستعدة لدفع مثل هذا المبلغ ، لاسترداد
الكمبيوتر ؟!.. أليس صنع غيره أقل تكلفة .
ابتسم السيد الكبير ، وهو يقول :

— هذا لو أن الأمر يقتصر على التكلفة وحدها .. إنهم لن
يدفعوا لاسترداد الجهاز فحسب ، وإنما لتفادى كارثة أيضاً ،
فالجهاز يعمل على بعد عشرات الكيلو مترات من المفاعل ،
ويمكن استخدام موجاته اللاسلكية المغناطيسية ، لتدمير
المفاعل تماماً ، بعد تغيير بسيط فى برنامجه .. لقد أرسلنا
للمصريّين تهديداً واضحاً ، وأظنهم سيحسنون فهم كل كلمة
فيه .. أليس كذلك يادكتور (كارم) ؟

قال (كارم) فى هدوء :

— تدمير المفاعل سيكلف الحكومة المصريّة أربعمائة
مليون دولار ، بالإضافة إلى ما سيحقيق بالمنطقة المحيطة به من
خراب ودمار ، ولا توجد وسيلة لمنع الكارثة ، دون استعادة
الكمبيوتر ، وبرمجة كمبيوتر آخر تحتاج إلى شهرين على
الأقل ، ونحن لم نمنحهم كل هذه المهلة .

ارتسمت ابتسامة واسعة ، على شفّى السيد الكبير ،
وعاد يعقد كفيه أمام صدره ، قائلاً :

— وهكذا أيّها السّادة ، ترون أننى قد أنجزت لكم عملاً
ناجحاً مثمراً ، فلقد حصلنا على الجهاز ، وأخفيناه على بعد
أربعين كيلومتراً من المفاعل المصرى ، وسيكون على المصريّين
أن يخضعوا لشروطنا ، أو يدفعوا ثمننا باهظاً .

وامتلات ابتسامته بالفخر ، وهو يستطرد :
— استثماركم لن تذهب هباءً أيها السادة ، فأنتم تعملون
مع عقل يفكر ، ويدبر ، ويناقش الشيطان نفسه .
وتألفت عيناه ، مُردِّفاً :
— عقلي أنا ..



٣ — إجازة قصيرة ..

دلف (ممدوح) إلى (الشاليه) ، أندى اختاره لقضاء
إجازته ، على ساحل البحر الأحمر ، بعد أن قضى نهاره بأكمله
في ممارسة رياضة الغوص في الأعماق ، وكان سعيداً بحصيلته من
الأصداف البحرية ، والقواقع النادرة التي أفرغها فوق مائدة
تتوسط الردهة ، ووقف يتأملها في إعجاب ، قبل أن يستعد
للحصول على حمام من الماء العذب ..

وفجأة ، عبر خنجر حاد فوق كتفه ، واستقر نصله في
الجدار المواجه له ..

واستدار (ممدوح) في سرعة ، واندفع نحو الشرفة ، التي
انطلق منها الخنجر ، ولم يكده يخطو داخلها ، حتى قفز نحوه رجل
ملثم ، يحمل سيفاً ضخماً ، هوى به على عنقه ، فتراجع
(ممدوح) في سرعة ، والتقط أحد مقاعد الشرفة ، يصد به
ضربة السيف ، التي هبطت على المقعد فشطرته شطرين ، إلا أن
(ممدوح) سدّ ركلة قوية إلى معدة الرجل ، جعلته ينشئ

ألمًا ، فهوى على رأسه بأحد شطري المقعد ، فأسقطه فاقد
الوعي ، في نفس اللحظة التي اندفع فيها الرجل الأول إلى
داخل (الشاليه) ، وانتزع خنجره من الجدار ، ورماه مرة
أخرى نحو (ممدوح) ، الذي استدار إليه في سرعة ، ورفع
نصف المقعد الآخر ، فتلقى عليه الخنجر ، وقذفه في وجه
الرجل ، ثم التقط سيف الرجل الآخر ، واندفع يحاصر قاذف
الخناجر في أحد الأركان ، ويضع ذباب السيف على عنقه ،
قائلًا :

— لقد التقينا من قبل .. أليس كذلك ؟.. أنت قاذف
الخناجر الشهير في السيرك البلغاري ، وزميلك هو سيّاف
السيرك نفسه ، وأنتما عضوان في منظمة تزييف نقد ، ألقيت
القبض على زعيمها في الصيف الماضي .

غمغم الرجل في حقد :

— لك ذاكرة قويّة أيها المقدم .

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— وردّ فعل سريع كذلك .

ثم أشار إلى قطعة أثاث قريبة ، وقال :

— هناك ستجد حبلًا قويًا ، استخدمه لتقيّد زميلك ، ثم



والتقط أحد مقاعد الشُرفة ، يصدّ به ضربة السيف ..

اترك لي شرف تقييدك أنت ، وتذكر أنني لا أقل عنكما
مهارة ، في استخدام السيف أو الخنجر .

لم يكذب ينتهي من إحكام وثاق قاذف الخناجر ، حتى اتصل
بشرطة المدينة ، لتسلم المجرمين ، ولم يكذب يعيد سماعة
الهاتف ، حتى ارتفع رنينه ، فالتقطها مرة أخرى ، ووضعها
على أذنه ، لسمع صوتًا مألوفًا ، يقول :

— (ممدوح) .. كيف حالك ؟

تهللت أساريره ، وهو يهتف :

— (رفعت) !! .. كم يسعدني سماع صوتك .

رفعت :

— أرجوك أن تظل محتفظًا بسعادتك ، عندما أخبرك أن

اللواء (مراد) يريد منك أن تقطع إجازتك فورًا ، وتعود إلى

المكتب رقم (١٩) .

ابتسم (ممدوح) ، وقال وهو يتطلع إلى المجرمين

الموثقين .

— لا عليك يا صديقي .. لقد انتهت إجازتي بالفعل ، منذ

لحظات ..

جلس (ممدوح) ينتظر عودة اللواء (مراد) ، في حجرة

مكتب هذا الأخير ، الذي صعد إلى إدارة جمع المعلومات في
الطابق الثالث ، من المبنى رقم (١٩) ، المعروف باسم
(إدارة العمليات الخاصة) ، ولم يمض وقت طويل ، حتى
حضر اللواء (مراد) ، حاملاً بعض الملفات ، فنهض
(ممدوح) يستقبله ، كما تقتضي قواعد اللياقة والاحترام ، إلا
أن اللواء (مراد) أشار إليه بالجلوس ، وخلع سترته ، ليعلقها
على المشجب المجاور للمكتب ، قائلاً :

— أرجو ألا تنقم علينا ، لحرماننا إياك من إجازتك .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— الواجب فوق كل شيء يا سيدي .

استوى اللواء (مراد) فوق مقعده ، وابتسم بدوره ،

وهو يقول :

— يبدو أن رجال السيرك البلغاري ، لم ينجحوا في النيل

منك هذه المرة أيضاً .

قال (ممدوح) ضاحكاً :

— لقد أسهموا في إزالة بعض ملل الإجازة يا سيدي .

اكتست ملامح اللواء (مراد) بالجدية ، وهو يقول :

— هل قرأت شيئاً عن مفاعل (وادي النطرون)

الحراري ؟

— نعم ، ولقد شاهدت في التليفزيون ، ذلك المؤتمر الصحفي ، الذي عُقد بمناسبة بدء تشغيله ، وقرأت التفاصيل في إحدى المجلات العلمية .

— هل تعلم إذن طبيعة كمبيوتر التشغيل والتحكم له ؟
— بالتأكيد .

نهض اللواء (مراد) من مقعده ، وارتكز على سطح مكتبه براحتيه ، وثبت نظراته على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

— أتعلم أيضاً أنه يمكن تعديل برنامج هذا الكمبيوتر ، بحيث يؤدي إلى تدمير المفاعل ، وكل المنطقة المحيطة به ؟
بدأ القلق على وجه (ممدوح) ، وهو يتطلع إلى اللواء (مراد) ، مغمغماً :

— أهنأك جهة ما تسعى لتخريب الجهاز يا سيادة اللواء ؟
تهالك اللواء (مراد) فوق مقعده ، وهو يغمغم :
— هناك منظمة إجرامية ذؤلية ، تُدعى (الكوبرا) ، تمكنت من سرقة الجهاز ، وتهدد بتدمير المفاعل والمنطقة ، ما لم ندفع لها مائة مليون دولار ، خلال خمسة أيام فقط ، ولقد قابلت السيد رئيس الجمهورية شخصياً هذا الصباح ، ولقد

طلب مني أن أقرر بكل صراحة ، ما إذا كان يمكننا استعادة الجهاز ، قبل انتهاء المهلة ، أم لا ، حيث إن الأمر لا يحتمل المخاطرة ، فوعده بأن نفعل ، والواقع أنني لم ألق هذا الوعد اعتماداً على الدراسات والتخطيط ، وإنما اعتماداً على أمر واحد ، ألا وهو أنت .

— سأبذل أقصى طاقتي لتنفيذ تعهدك يا سيدي .
— لقد تم تهريب الجهاز من المفاعل ، في ساعة متأخرة من الليل ، بعد تخدير العاملين ، وطاقم الحراسة ، بغاز (الاستريون) المخدر ، لمدة نصف ساعة ، ولقد اختفى في نفس الوقت الدكتور (فوزي) ، أحد الفنيين في المشروع ، مما يشير إلى وجود علاقة بينه وبين المنظمة ، التي استولت على الجهاز .

— وهل تم جمع التحريات اللازمة عن الدكتور (فوزي) ، وإمكانية العثور عليه ؟
— لقد عثرنا عليه بالفعل ، ولكنه كان قتيلاً داخل سيارته ، ومعه صبي ، عرفنا فيما بعد أنه ابنه ، وكان من السهل أن نستنتج أن المنظمة قد اختطفت ابنه ، ودفعته لسرقة الجهاز في مقابله ، ثم قتلت الاثنين بعد ذلك .

بدت علامات التفكير ، على وجه (ممدوح) بعض الوقت ، ثم قال :

— سيدي .. أريد تسجيلاً لوقائع مؤتمر بدء تشغيل المفاعل ، وكل الصور ، التي سجلتها عدسات المصورين خلاله .

لم يسأله اللواء (مراد) عن سبب طلبه لتلك الأشياء ، وإنما قال على الفور :

— لك ما تطلب .

ثم أضاف في حزم :

— ولكن تذكر جيداً ، أنها خمسة أيام فحسب ، وبعدها نخسر كل شيء .

ابتسم (ممدوح) في ثقة ، وهو يقول :

— اطمئن يا سيدي .. لن نخسر .

ثم أضاف في حزم :

— بإذن الله .

٤ — الشخص الغامض ..

نثر (ممدوح) الصور كلها أمامه ، واستغرق في فحصها في عناية بالغة ، حتى اقترب منه (رفعت) ، وغمغم الأخير :

— هل أفادتك بشيء ؟

غمغم (ممدوح) :

— ليس بعد .

— ما رأيك في أن نعرض الفيلم ؟

حل (ممدوح) رباط عنقه ، وجلس فوق أحد المقاعد ، مغمغماً :

— لا بأس .. دعنا نفعل .

أطفأ (رفعت) أضواء الحجرة ، وأدار آلة العرض ، وجلس مع (ممدوح) يتابعان المشاهد في اهتمام بالغ ، حتى هب (ممدوح) من مقعده بغتة ، هاتفاً :

— قم بشيت ذلك المشهد .

أطاع (رفعت) في سرعة ، وتوقف المشهد المعنى ثابتاً

على الشاشة ، واقترب منها (ممدوح) ، وراح يتأمل في اهتمام ذلك الانفعال ، البادى على وجه الدكتور (فوزى) ، وهو يتطلع إلى أحد الأشخاص في القاعة ، ثم أشار إلى (رفعت) ، ليعيد إدارة آلة العرض ، وعاد يجلس ، قائلاً :
— هل تلاحظ تلك النظرة الخائفة ، في عين الدكتور (فوزى) ؟

— نعم .. إنه يبدو مضطرباً للغاية .

— تابع اتجاه نظراته .. إنها تنصب على شخص في الصف الثانى و...

ثم هتف فجأة :

— ثبت اللقطة .

أطاعه (رفعت) فى سرعة ، هذه المرة أيضاً ، وعاد (ممدوح) يترك مقعده ، ويشير إلى الشاشة عن قرب ، قائلاً :

— إنه بالتحديد هذا الشخص الخامس ، من الصف الثانى .

— ولكن اللقطة لا توضح سوى رأسه .

— سنتعرف وجهه حالاً .

وأسرع يضىء الحجرة ، ويتفحص الصور مرة أخرى ، قبل أن يشير إلى إحداها ، قائلاً :
— ها هوذا .

اقترب (رفعت) ليمعن النظر فى وجه الرجل ، على حين قال (ممدوح) فى حزم :

— أريد تحريرات كاملة عن هذا الرجل .. إنه أول الخيط .

استعاد ذهن (ممدوح) نتائج التحريات ، التى أثبتت أن هذا الرجل صحفى مزيّف ، كان يحمل بطاقة صحفية مزورة ، وأنه قد سافر بعد المؤتمر إلى (مالطة) ، وربط عقل (ممدوح) بين ذلك ، ومصرع الدكتور (فوزى) ، وسرقة الجهاز ، فى الوقت الذى كانت فيه طائرته تهبط فى مطار (فالتا) عاصمة (مالطة) ، حيث وجد شخصاً ينتظره ، ويلوّح له ، ولم يكذب يغادر الدائرة الجمركية ، حتى أسرع هذا الشخص يضافحه فى حرارة ، ويرفع له قبعته ، قائلاً :

— (نعمان) .. شقيق من (تونس) ، وعضو بالخدمة السريّة لإدارة العمليات الخاصة المصرية .

صافحه (ممدوح) ، قائلاً :

— أهلاً بك يا أخ (نعمان) .. لقد أخبروني أنك تقيم هنا ، منذ عشر سنوات .

— هذا صحيح ، وأحفظ كل شبر بالجزيرة ، فلقد زاولت عدّة أعمال ، قبل أن أمتلك مطعمًا للوجبات الشرقية في (فالتا) .

— وهل تعرّفت صاحب الصورة ، التي أرسلناها لك ؟
— بالطبع ، ولكننا سترجئ الحديث عنه ، حتى نصل إلى منزلي ، فهو من النوع الخطير .. الخطير للغاية ..

قال (نعمان) ، وهما يجلسان حول مائدة الطعام في منزله :

— هذا الرجل يدعى (جيمس جلايد) ، تاجر سيارات ، وله تاريخ حافل في العمل لحساب عصابات التهريب والسطو ، ولقد سُجنَ مرتين ، ولكنه لم يرتكب شيئاً ، علانية ، طوال الأعوام الستة الماضية ، وإن كانت معلوماتي تؤكد أن تجارة السيارات ليست سوى ستار لعمل آخر غير مشروع ، ويعزّر ذلك كون معظم العاملين معه من ذوى السوابق ، ومحترفي الإجرام .

— ألدیه هواية محدودة ؟

— الشطرنج .. إنه يعشقه إلى حدّ الهوس ، بعد حبه للمال بالطبع ، ويكره أن يهزمه أى مخلوق فيه .
تناول (ممدوح) رشفة من حسائه في هدوء ، ثم ابتسم قائلاً :

— إننا نتشابه إذن ، فأنا أيضاً أكره الهزيمة في الشطرنج .
واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف في حزم :
— وفي العمل .



٥ — هزيمة الطاوس ..

التف عدد من رؤاد الصالة الداخلية المغطاة ، لنادى
(البحر المتوسط) ، حول مائدة جلس إليها (جلايد) ، وهو
ينازل أحد الأشخاص فى لعبة الشطرنج ، واستمرت المباراة
ساعة كاملة ، حبس خلالها المشاهدون أنفاسهم ، وشهقوا
انفعالاً مع كل قطعة تتحرك ، حتى انتهت مع كلمة هادئة ،
نطق بها (جلايد) :

— كش .

ربح (جلايد) المباراة ، ونهض خصمه يضافحه ،
مغمغماً :

— أهنيك يامستر (جلايد) .. إنك خصم لا يُبَارَى .

ارتسمت ابتسامة زهو واثقة على شفتي (جلايد) ، وهو
يقول فى لهجة رجل اعتاد الظفر :

— أنا أيضاً أهنيك يا عزيزى (هويلر) ، فأنت أحد

القلائل ، الذين أمكنهم الصمود أمامى لساعة كاملة .

بدا وكأن العبارة لم ترق (هويلر) ، إلا أن أحداً لم يهتم
بذلك ، أو يلتفت إليه ، وقد التف الجميع حول (جلايد) ،
الذى انتفخت أوداجه ، يهثونه بالفوز ، وأجد أتباعه يشعل
سيجاره الضخم بقذاحته ..

ووسط هؤلاء ، رفع (ممدوح) كأسه تحية
لـ (جلايد) ، وهو يقول :

— أنت لاعب ممتاز حقاً يامستر (جلايد) ، ولكنك لم
تلق بعد خصماً يصلح لمنازلتك ، فخصمك كان بطيئاً
متردداً .

سحب (جلايد) نفساً عميقاً من سيجاره ، ونقل بصره
بين وجه تابعه ، ووجه (ممدوح) فى دهشة واستخفاف ، قبل
أن يقول لتابعه ساخرًا :

— يبدو أن هذا الرجل يدعى كونه أكثر جذقا من
(هويلر) .

أجابه (ممدوح) فى هدوء ، وهو يرفع كأساً من عصير
الفواكه إلى شفتيه ، دون أن تفارق ابتسامته هاتين الشفتين :

— بالتأكيد ، فأنا أستطيع هزيمتك ، وفى وقت أقل مما
استغرقه هو لتهمه .

ازدادت ابتسامه (جلايد) سخرية ، وهو يقول :

— أيعنى هذا أنك تحيد الشطرنج ؟

جرع (ممدوح) كأس عصير الفواكه كلها ، وقال فى هدوء :
— بما يكفى لهزيمتك .

لم يكديتم عبارته ، حتى اقترب (نعمان) منهما ، ومدّ يده
يصافح (جلايد) ، قائلاً :

— مرحباً يا عزيزى (جلايد) .. ألا تذكرنى ؟

تجاهله (جلايد) تماماً ، وهو يرمق (ممدوح) بنظرة
ثاقبة ، وكأنما يحاول استشفاف ما خلف ملامحه ، فأطلق
(نعمان) ضحكة قصيرة ، ليخفف من جو التوتر ، عندما لمح
تابع (جلايد) يعبث بشيء ما ، فى جيب معطفه ، وقال :

— لقد اشتريت منك (رينو) زرقاء ، فى العام الماضى ،
ودعوتك لتناول الغداء فى مطعمى الشرقى .. أتذكر ذلك ؟
ثم أشار إلى (ممدوح) ، مستطرداً :

— إنه قريب لى من (تونس) .

جذب (جلايد) نفساً طويلاً من سيجاره ، وقال دون أن
يرفع عينيه الثاقبتين عن وجه (ممدوح) :

— قريبك هذا يدعى أنه يستطيع هزيمتى فى الشطرنج ،
أجيد اللعبة حقاً ، كما يجيد إلقاء التحديات ؟

التفت (نعمان) إلى (ممدوح) ، وابتسم فى ارتباك ،
مغمغماً :

— لست أظنه يستطيع مجاراتك يا مستر (جلايد) ،
فأنت أقرب إلى المحترفين ، وهو مجرد هاو .

أرضت كلمات (نعمان) غرور (جلايد) ، فأوماً
برأسه موافقاً ، وهم بالانصراف ، قائلاً :

— أخبره إذن أنه من الخطر أن يتحدّى محترفاً .

مدّ (ممدوح) ساعده ؛ ليعترض طريقه ، وهو يقول
ساخرًا :

— هل تخشى منازلتى ؟

احتقن وجه (جلايد) فى غضب ، وقبض على معصم
(ممدوح) فى قوة ، ثم لم يلبث أن أرخى قبضته ، وقال فى
صرامة :

— حسنًا أيها الهاوى .. تعال لألقنك درسًا فى فن التعامل
مع الكبار .

ثم التفت إلى تابعه ، مستطرداً فى حزم :

— أعدّ رقعة الشطرنج .

عاد الجمع يلتف ، حول الركن المخصّص للعبة ، وقد ساورهم الفضول ، بشأن ذلك المتحدّي الغريب ، الذى أثار غضب (جلايد) ، المعروف ببرود أعصابه ، ودفعه إلى منازلته ، على الرغم من أنه لا ينازل سوى كبار محترفى اللعبة ، ولم يشكّ أحدهم لحظة ، فى أن ذلك المتحدّي سيلقى هزيمة ساحقة ماحقة ، سريعة ، على يد (جلايد) ، دون أن يخطر ببال أحدهم لحظة أن الشطرنج لم يكن اللعبة الحقيقية .. أبداً .

لم تكد المباراة تبدأ ، حتى انسحب معاون (جلايد) فى هدوء ، واتجه إلى إحدى كبائن الهاتف ، وأجرى اتصالاً من خلالها ، وفى الكابينة المجاورة ، راح (نعمان) يتصنّت على المحادثة ، بواسطة جهاز خاص ، ثبته على الجدار ، الذى يفصل الكابنتين ، وعندما أنهى الرجل محادثته ، وعاد يقف خلف رئيسه ، كان (نعمان) يقف فى مواجهة (ممدوح) ، الذى استغرق فى اللعب تماماً ، وسمع (جلايد) يقول فى سخرية :

— إننى أقدر صعوبة مأزقك ، فالأمر يتعدّى إمكانات الهواة .



ممدّ (ممدوح) ساعده ؛ ليعترض طريقه ، وهو يقول ساخراً :

— هل تخشى منازلتي ؟

ابتسم (مدوح) في سخرية ، ورفع عينيه إلى
(نعمان) ، الذي أشار إليه بانتهاء المهمة ، فعاد يخفض عينيه
إلى رقعة الشطرنج ، وحرك إحدى قطعها ، قائلاً في هدوء .
— كش .

احتقن وجه (جلايد) في غضب ، وحدّق في الرقعة
بذهول ، على حين شهق الحاضرون في دهشة لفوز
(مدوح) ، وصافحه أحدهم ، هاتفاً في إعجاب :
— أهنيك أيها السيّد .. إنك حقاً محترف ، لقد أنهيت
المباراة بلعبة رائعة ، وفي توقيت مناسب .

ابتسم (مدوح) ، ومدّ يده يصافح (جلايد) ، قائلاً :
— حظ طيّب في المرّة القادمة .

لم يمدّ (جلايد) يده ليصافحه ، وإنّما قال في بغض :
— سنلتقى مرّة أخرى يافتي .

ثم انسحب مع معاونه ، و (مدوح) يتابعهما بنظرة
ساخرة ، فغمغم (نعمان) :

— لم أتصوّر أنك تحيد اللعبة إلى هذا الحد !

— لقد اعتمدت على استهانته بي ، ثم إن إشارتك بانتهاء
المهمة ، رفعت معنوياتي كثيراً .

مرّة أخرى عا - إنيهما ذلك الرجل ، الذي هتأ (مدوح)
بالفوز ، وقال :

— ما رأيك في أن أدعوك لتناول شراب ما ، بمناسبة فوزك
على هذا الغريم القوي ؟

اعتذر (مدوح) ، قائلاً :

— كنت أتمنى تلبية دعوتك ، ولكنني مرتبط أنا وصديقي
ببعض الأعمال الهامة .

هزّ الرجل رأسه أسفاً ، وهو يقول :

— فليكن .. سأؤجّل دعوتي إلى انتصار جديد لك ، على
ذلك الطاوس المغرور (جلايد) .

قال (مدوح) ضاحكاً :

— أظنه سيحتاج إلى وقت طويل ، قبل أن يفرد ذيله مرّة أخرى .
أطلق الرجل ضحكة مرحة رنانة ، إعجاباً بذلك التعليق ،
ووقف يراقب انصراف (مدوح) و (نعمان) ، بقامته
المتوسطة ، وشاربه ولحيته القصيرين ، وعينيه التي تبدو إحداهما
أكثر ضيقاً من الأخرى ..

لقد كان نجم عملية سرقة الجهاز ..

كان اسمه (كارم) .

٦ — مواجهة عنيفة ..

قال (نعمان) لـ (ممدوح) ، وهو ينطلق بسيارته :
— لقد اتصل تابع (جلايد) بأحد الأشخاص ، وطلب
منهم التحري عنك بسرعة .
— إذن فقد أثار التحدي شكوك (جلايد) ، ودفعه إلى
التحرك في سرعة ، ولو صحَّ توقُّعي ، فسيبدءون بتفتيش
منزلك ، ما دمت أقيم لديك ، في الوقت الحالي .
— لقد مهَّدت لذلك ، وألغيت الحراسة حول منزلي .
— وأنا بدوري تركت لهم ما يكفي لإثبات حقيقة
شخصيتي ، ولو أن (جلايد) هذا هو الرجل ، الذي يقف
خلف العملية ، كما توقَّعت ، فسيطلب من أعوانه التخلص
مني .

— وبم يفيدك ذلك ؟

— سأثق أنَّه الهدف ، الذي أسعى خلفه .

أوقف (نعمان) سيارته ، أمام مدخل منزله ، وهو يقول في
قلق :

— أسلوبك مخوف بالمخاطر ، ولا تنس أنك ستكون أيضاً
هدفاً يَسْعَوْنَ خلفه .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— إنها لعبتي المفضلة يا صديقي .. لعبة الفريسة
والصياد .

هزَّ (نعمان) رأسه في دهشة ، وهو يعبر حديقة منزله ،
وخلفه (ممدوح) ، ودس مفتاحه في ثقب الباب ، وهو يدعو
(ممدوح) للدخول ..

وفجأة قفز رجل من خلف الباب ، وأغمد خنجره في
أحشاء (نعمان) ، حتى مقبضه ، فتحرك (ممدوح) في
سرعة ، إلا أنه فوجئ بفوهة مدفع رشاش تلتصق بعموده
الفقرى ، وسمع صوتاً غليظاً يقول :

— لا داعي لبطولات حمقاء أيها المصري .. تقدَّم إلى
الداخل .

أطاعه (ممدوح) ، ودخل إلى المنزل ، ورأى في حزن جثة
(نعمان) ، وهم يسحبونها إلى الداخل ، ووجد أمامه تابع
(جلايد) يأكل تفاحة ناضجة ، ويقطع منها قطعاً صغيرة
بسكين حادة ، ويلقيها في فمه ، قائلاً في برود :

— إذن فلست مجرد لاعب شطرنج ، بل أنت أحد رجال
المكتب رقم (١٩) المصرى .. يبدو أنك لست ماهراً فى
عملك ، مهارتك فى الشطرنج ، فأنت لم تبذل جهداً كافياً
لإخفاء أوراقك ، كما أن تحديك لـ (جلايد) كان لعبة
مكشوفة ، جذبت أنظارنا إليك على الفور ، ثم إننا قد عثرنا
عليك ببساطة متناهية ، فى منزل صديقك .

قال (ممدوح) فى غضب ، وهو يشير إلى جثة
(نعمان) :

— لن أغفر لكم هذه الجريمة أيضاً ، سأضيفها إلى قائمة
جرائمكم ، التى تحوى سرقة الكمبيوتر ، وقتل الدكتور
(فوزى) وولده .

أطلق الرجل ضحكة وحشية ساخرة ، ثم قال للرجلين
المرافقين له :

— هل رأيتما ما هو أعجب من ذلك ؟! .. إنه يؤكد أنه لن
يغفر لنا جرائمنا ، وهو بين أيدينا !.. أليس هذا دليلاً على
سذاجة المصريين ؟

واكتسى صوته وملامحه بالقسوة ، وهو يلتفت إلى
(ممدوح) ، مستطرداً :

— اسمع أيها الأحمق .. لست تواجه رقعة شطرنج الآن ..
لقد انتهى أوان اللعب ، وحسابكم أنتم هو الذى ارتفع لدينا ،
فسنضاعف المبلغ المطلوب ، مقابل استعادتكم للجهاز ،
بسبب لجوئكم إلى تلك الوسائل الملتوية .. وفى حالة إتمام
الاتفاق ، بيننا وبين حكومتك ، سأتكفل بإعادة جثتك إليهم
على الحساب ، ودون أية إضافات جديدة .

قال هذا وأشار إلى أحد الرجلين بذقنه ، وأدرك
(ممدوح) مغزى الإشارة على الفور ..

لقد كانت تعنى قتله ..

جذب الرجل ، الذى يقف خلف (ممدوح) إبرة مدفعه
الرشاش فى هدوء ، وأدرك (ممدوح) أنه لن يتردد لحظة
واحدة فى قتله ، فأسرع يقول لتابع (جلايد) ، وكأنه لم
يلحظ إشارته للرجل :

— هناك شئ أحب أن أخبر به (جلايد) ، قبل أن
تقتلنى ، فلقد هزمتة بالحيلة ، وليس بالمهارة .

أثارت عبارته فضول الرجل ، فأشار إلى حامل المدفع
الرشاش بالتوقف ، وسأل (ممدوح) فى اهتمام :

— بالحيلة ؟!.. وكيف كان ذلك ؟

— إنه أمر يعتمد على خفة اليد ، وسرعة البديهة ، وباستخدام قطعة من الشطرنج المغناطيسى .

تبادل الرجال الثلاثة نظرات الدهشة ، وغمغم التابع :
— شطرنج مغناطيسى ؟!

قال (ممدوح) ، وهو يمدّ يده نحو جيبه :

— إنها معى .. هل تحب أن تراها ؟ .. ربّما استفاد منها
(جلايد) مستقبلاً !

صاح الرجل فى توثر :

— قف ، لا تقرب يدك من جيبك .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

— ما الذى تخشاه ؟ .. إننى لن أخفى مسدّساً فى هذا
الجيب الصغير بالطبع .

تراجع الرجل فى حذر ، وتعلّقت عيناه بأصابع
(ممدوح) ، الذى التقط من جيبه قطعة من البلاستيك ، تشبه
رأس حصان الشطرنج ، وثناها بين أصابعه نصفين ، وتظاهر
بأنه يلقيها نحو الرجل قائلاً :

— هذه هديتى إلى (جلايد) .

وفجأة ألقى القطعة على الثريا المدلاة من السقف ، فانفجرت
بدوى هائل ، وتناثرت شظايا الزجاج كسحابة من الرمال
القاتلة ، وصرخ تابع (جلايد) فى ألم ، عندما احترقت
الشظايا جسده وعينيه ، على حين استدار (ممدوح) فى
سرعة ، نحو الرجل الواقف خلفه ، وأدار قرص ساعته ،
فارتفع غطاؤها الزجاجى ، وانطلقت من الساعة أشعة
حارقة ، أصابت الرجل فى ساعده ويده ، فأفلت مدفعه
الرشاش ، وهو يصرخ من الألم ، على حين أطلق الرجل الثالث
رصاصة من مدفعه تجاه (ممدوح) ، الذى انحنى فى سرعة ،
والتقط سكين تابع (جلايد) ، وصوبها نحو صدر الرجل ،
فغاصت فيه حتى القبض ، وسقط الرجل جثة هامدة ، إلى
جوار ضحيته (نعمان) ، وأسرع (ممدوح) يلتقط المدفع
الرشاش ، وصوبه إلى الرجل الذى كان يحمله منذ لحظات ،
ودفعه أمامه ، حتى أوقفه إلى جوار تابع (جلايد) ، الذى
أخذ يتأوّه فى ألم ورعب ، وقال (ممدوح) فى صرامة :
— والآن أيها الوغدان ، العميل المصرى الساذج
يطالبكما بإجابات سريعة ومحدودة على أسئلته ، وإلا اختصر
آلامكما بأبسط وسيلة معروفة .. القتل .

٢٧ — وكر الشعبان ..

ألقى (ممدوح) أحد الرجلين في حقيبة السيارة ، بعد أن أحكم وثاقه ، وكمّم فمه ، وارتدى ثيابه ، وأرخصى قبعته على وجهه ، وأجلس الرجل الآخر إلى جواره في السيارة ، وهو يصوّب إليه مسدّسه ، من داخل جيبه ، وانطلق بالسيارة ، يشقّ طريقه ، عبر ذلك الشارع الضيق المظلم ، الذى يقود إلى فيلا (جلايد) الفاخرة ، وهناك فتح حارس الفيلا بوابتها الحديدية ، بعد أن تعرّف السيارة ، وسمح لها بالعبور ، وهو يقول دون أن يهتمّ برؤية وجه قائدها :
— مرحبًا يا (شو) .. لقد سأل عنكم (جلايد) عدة مرات الليلة .

لم ينطق (شو) بحرف واحد ، والسيارة تواصل طريقها ، حتى توقّفت في نهاية ممر طويل ، فانفتحت أمامها بوابة (الجراج) تلقائيًا ، وتركها تمرق عبرها ، ثم عادت تُغلق في هدوء ، على حين استقرّت السيارة وسط (الجراج) ، وهبط

منها (شو) ، وخلفه (ممدوح) ، شاهراً مسدّسه ، وقائلاً فى لهجة تهديدية مندرة :
— لقد كنت عاقلاً حكيماً فى تصرفك وقيادتك ، حتى

هذه اللحظة ، وأرجو أن تحافظ على عقلك وحكمتك ، وترشدنى إلى وسيلة مفاجأة رئيسك (جلايد) ، دون أن نتسبّب فى حدوث مشاكل جسيمة ، وإلاّ فسيكون لك نصيب منها .

أشار (شو) إلى باب معدنى صغير ، داخل (الجراج) ، وهو يقول :
— هذا الباب يؤدّى إلى دهليز طويل ، ينتهى بسلم

حلزونى ، يمكنك أن تصل بواسطته إلى داخل الفيلا ، ولكن مفتاحه دوماً مع مستر (جلايد) .

ناولته (ممدوح) آلة صغيرة ، وهو يقول :

— المفتاح ليس مشكلة .. استخدم هذه .

تعمّد (شو) عدم إحكام الآلة فى ثقب الباب ، وهو يغمغم :

— إنها لا تعمل .

تناولها منه (ممدوح) ، وهو يقول :

— حسناً .. اترك لي هذه المهمة .

ودس الآلة في ثقب المفتاح ، وراح يديرها في مهارة ، على حين انتهر (شو) فرصة انشغاله ، وتقهقر في بطاء وحذر ، وهو يتحسس الجدار ، حتى قبضت كفه على مقبض معول ضخمة ، ولكنه وقبل أن ينتزعه من مكانه ، فوجئ بـ (مدوح) يلتفت إليه في سرعة ، ويعالجه بضربة قوية على فكه ، بمقبض المسدس ، ثم بأخرى على رأسه ، فسقط فاقد الوعي على الفور ، وجذبه (مدوح) إلى السيارة ، وألقاه إلى جوار زميله ، وهو يغمغم :

— يبدو أنك لست بالتعقل ، الذي تصوّرتة أيها الوغد .
وعاد إلى آله ، التي عاجلت موضع المفتاح في يسر ، ثم لم يلبث هو أن أدار مقبض الباب ، فافتح أمامه ، وقاده إلى دهليز طويل مظلم ، ارتقى في نهايته سلماً حلزونياً صاعداً ، حيث وجد باباً آخر ، لم يكده يدير مقبضه ، دون الاستعانة بأية وسائل ، حتى استجاب له على الفور ، فانتظر (مدوح) لحظة ، أصاح خلالها السمع جيداً ، ثم دفع الباب ، ودلف إلى تلك الحجرة المظلمة ، التي يقود إليها ، وأضاء مصباحه اليدوي الصغير ، الذي أطلق خيطاً رفيعاً من الضوء ، يكفي فقط ليكشف له الطريق ..

ولجأة وقع خيط الضوء على غوريلا ..

نعم .. غوريلا بشرى ، أو بمعنى أدق رجل أشبه بالغوريلا ، ضخمة الجثة ، بشع الخلق ، عريض المنكبين .. وقبل أن تبدر من (مدوح) حركة واحدة ، وقبل أن يتلع تلك المفاجأة ، انقضّ عليه ذلك الغوريلا البشري ..

اعتصر العملاق معصم (مدوح) بقبضته في قوة ، وأجبره بضغط أصابعه الفولاذية على التخلي عن مسدسه ، ثم دفعه بقوة ووحشية ليرتطم بالحائط ، وراح يتقدم منه في خطوات هادئة ثابتة ثقيلة ، وكأنما هو واثق من عجزه عن صدّه ..

ولقد حاول (مدوح) مراوغته بالفعل ، وهو يلكمه بكل ما يملك من قوة في معدته ، ولكن اللكمة بدت وكأنها مداعبة رقيقة ، وهي ترتطم بلوح الصلب ، الذي تشبه عضلات بطن ذلك العملاق ، على حين هوى هو بقبضته كالمطرقة على صدغ (مدوح) ، فألقاه أرضاً ، ثم أمسكه من ياقته ، ورفعته إلى أعلى في قوة ، وهمّ بتحطيم فكه بلكمة أخرى ، لولا أن غمر الضوء المكان فجأة ، وارتفع صوت أمر يقول :

— كفى يا (جوشو) .. أريده واعيًا .. أحضره إلى حجرتي .

حمل العملاق (ممدوح) فوق كتفه ، وعبر به إلى حجرة واسعة ، مؤثثة على أحدث طراز ، وألقى به أمام سيده (جيمس جلايد) ، الذى يجلس فوق أريكة مستديرة ناعمة ، وهو يقول فى سخرية :

— مرحبًا ببطل الشطرنج الهمام .. لست أدري فى الواقع كيف نجوت من ثلاثة ، من أشرس القتلة المحترفين فى العالم ، ولكن أيًا ما كان الأمر ، فقد كان من حماقة أن تحضر إلى فلتي على هذا النحو المتلصص ، فهذه الجرأة لا تغفر لك .

ابتسم (ممدوح) متهكمًا ، على الرغم من آلامه المبرحة ، وهو يقول :

— يبدو أن هزيمتك السابقة فى الشطرنج تزعجك ، إلى حد استخدام مثل هذا القرد الآدمي للانتقام .

أشعل (جلايد) سيجاره ، وبدا شديد الهدوء ، وهو يقول :

— هذا القرد الآدمي كاد يمزقك إربًا ، لولا أن أمرته بالتوقف ، فقد وعدتك بمباراة ثأرية فى الشطرنج ، ومن حسن الحظ أنك نجوت من رجالي ، حتى يمكننى الشار لهزيمتى ، ولكن هزيمتك هذه المرة ستعنى موتك .

سأله (ممدوح) فى سخرية :

— وماذا عن هزيمتك أنت ؟

أطلق (جلايد) ضحكة قصيرة ، وقال :

— ستعنى موتك أيضًا ، فأنا أكره أن أهزم مرّتين .

ثم التفت إلى العملاق ، مستطردًا :

— أحضِرْ مائدة الشطرنج ، من صواني الخاص .

راقب (ممدوح) العملاق ، وهو يتجه نحو صوان بلورى فى أحد الأركان ، ولم يكد العملاق يوليه ظهره تمامًا ، حتى انقضّ عليه فجأة ، وطوّق ساقيه بذراعيه ، فهوى جسده العملاق كجبل ضخّم ، فوق الصوان البلورى ، الذى تهشّم تحت ثقله بدوى شديد ، ولكن عنف السقطة ، ومفاجأة الهجوم ، لم يؤثرًا فى العملاق ، الذى تجاهل جراحه ، والتفت إلى (ممدوح) فى سرعة ، وتخلّص منه فى يسر ، ثم انقضّ

عليه ، ورفعه إلى أعلى ، وألقى به بكل قوته فوق بقايا الصوان
البلورى ، الذى تهشم عن آخره ، ثم رفعه مرة أخرى ، وراح
يهوى على وجهه بلكمات كمطارق الصلب ..
وهنا تخضّب وجه (ممدوح) بالدماء ، وسقط ..
سقط بلا حراك ..



٨ — المرحلة الحاسمة ..

نفث (جلايد) دخان سيجاره فى هدوء ، وهو يقول
للعملاق :

— لا تقتله .. مازلت أرغب فى هزيمته فى الشطرنج ، احمله
إلى إحدى الغرف ، واسهر عليه ، حتى يستعيد وعيه .
أحنى العملاق رأسه فى طاعة ، وانحنى ليحمل (ممدوح)
بين ذراعيه ، ولكن (ممدوح) دفع قدمه فجأة فى معدته ،
ورفعه بساقيه إلى أعلى ، وقذفه خلفه ، ثم قفز واقفاً على قدميه ،
قبل أن ينهض العملاق من سقطته ، وعلى الرغم من آلامه ، إلا
أنه انتزع من حول ساقه مسدساً احتياطياً ، وأطلق منه رصاصة
محكمة نحو ساق العملاق ، فى اللحظة التى همّ فيها بمعاودة
الهجوم عليه ، فسقط العملاق ، وهو يطلق صرخة أكثر بشاعة
من وجهه ، على حين سقط السيجار من بين شفتى (جلايد) ،
وتراجع فى ذعر ، و (ممدوح) يقول بأنفاس لاهثة :

— أين الكمبيوتر ؟ .. تكلم بسرعة ، وإلا ألهمت رأسك بالرصا ص .

زايل الغرور (جلايد) تمامًا ، وهو يقول في ضراعة :

— دعنا نتفاهم بهدوء يا صديقى .. أقسم لك أننى لا أعرف شيئاً ، عن جهازكم هذا .. ولست أدري أين تم إخفاؤه .

صوب (ممدوح) مسدسه إلى رأسه ، وهو يقول في صرامة :

— لا تضيع الوقت يا (جلايد) .. ساعد لثلاثة ، ثم أطلق النار على رأسك ، وثق أننى لن أشعر أبداً بالندم على ذلك .

غمغم (جلايد) فى توسل :

— صدقنى أرجوك .. لقد شاركت حقاً فى عملية السرقة ، ولكن دورى لم يتجاوز ذلك ، والمسئول عن العملية وحده يعلم أين الجهاز .

بدا وكأن (ممدوح) لم يسمع هذه العبارة ، وهو يعد فى حزم :

— واحد .. اثنان ..

صرخ (جلايد) :

— أرجوك .. لا تطلق النار .. سأخبرك باسم المسئول عن العملية ، وعليك أنت أن تبحث عنه ..

خفض (ممدوح) مسدسه ، وهو يقول فى صرامة :

— هيا إذن .. كلى آذان صاغية .

قضى (ممدوح) اليوم التالى كله ، فى السفارة المصرية بـ (قالتا) لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، عن (كارم منصور) ، عن طريق الاتصال المباشر بأجهزة الأمن المصرية ، على حين قامت مجموعة من أفراد إدارة العمليات الخاصة ، بالتحفظ على (جلايد) ورجاله ، ومنعهم من الاتصال بـ (كارم) ، وإخفائهم فى أماكن سرية ، حتى وصلت المعلومات من (القاهرة) ، تفيد بأن (كارم) هذا كان ضمن العاملين فى التجارب الأولية للمفاعل الحرارى ، وأنه عالم مصرى ، هاجر إلى (كندا) منذ أربع سنوات ، إثر تعرضه لحادث ، تسبب فى بتر ذراعه ، وانقطعت صلته عن وطنه منذ ذلك التاريخ ، ولقد شعر (ممدوح) بمنزج من الضيق والأسف ، وهو يقول :

— إذن فهو من أصل مصرى .. يالللخائن !.. أى شيطان دفعه إلى تدمير جزء من تقدّم الوطن الذى أنجبه؟!

وغادر السفارة المصرية فى سيارة ، انطلق بها نحو الطريق الجبلى ، المطلّ على أجمل شواطئ (مالطة) ، والأفكار تتوارد فى ذهنه بسرعة بالغة ، وهو يرتّب خطواته القادمة ، بعد أن حصل على معلومات كافية عن غريمه ، وأمكنه تحديد مكانه ، ولم يبق له سوى أن يبدأ صراعه الشيطانى معه ، بعد أن وصلت مهمته الانتحارية إلى مرحلة حاسمة ..

وبينا كان منهمكًا مع أفكاره ، ومع مشاهدة سحر الطريق ، ما بين أشجار النخيل الوارفة ، والخضرة اليانعة ، التى تكسو المرتفعات الجبلية حوله ، وأمواج الشاطئ اللؤلؤية أسفل الطريق ، انطلقت خلفه سيارة نقل ، وبدخلها شخصان يراقبانه فى اهتمام ، وفجأة انطلقت السيارة فى محاذاة سيارته ، وتعمّد قائدها الارتطام بجانب سيارته الأيمن ، محاولاً إلقاءه من فوق الطريق الجبلى ..

وارتجّت سيارة (ممدوح) فى قوّة ، ولمح الوحشية فى عين رجلى سيارة النقل ، وكانت نظرة واحدة للهوة العميقة إلى جواره ، تكفى لترتجف قلوب أشدّ أهل الأرض بأسًا ، إلّا

أنه ، باعتياده مواجهة مثل هذه الأمور ، ظلّ متماسكًا ، محتفظًا برباطة جأشه ، ومتحكّمًا فى عجلة قيادة سيارته ، على حين تباعدت سيارة النقل لحظة ، وعادت ترتطم بجانب سيارته مرّة أخرى ، وأعاد هو سيارته إلى الحافة فى صعوبة ، بعد أن دارت عجلتها الأمامية اليسرى فى الهواء بالفعل ، ورأى سيارة النقل تبعد ؛ لتعاود الكرة ، فأسرعت يده تحرك الغطاء المعدنى لحزامه ، وتناول من تجويفه عدة كرات معدنية صغيرة ، تشبه حبّات الحمص ، وأطاح بها أسفل سيارة النقل ، التى ارتطمت به فى عنف هذه المرّة ، حتى أن نصف سيارته تقريبًا قفز إلى الفوهة ، قبل أن ينجح فى إعادتها إلى الحافة بمعجزة .. ثم تباعدت سيارة النقل مرّة أخرى ، وبدأ وكأنها ستنتهى المعركة بتلك الصدمة ..

وأدرك (ممدوح) أن كل حركة صارت محسوبة عليه ، وأن أدنى خطأ سيعنى شيئًا واحدًا .. مصرعه ..

٩ - بين مخالب الشيطان ..

في اللحظة الحاسمة ، وبينما سيارة النقل تتراجع ، استعدادًا لصدمتها القاتلة الأخيرة ، اندفعت الكرات المعدنية فجأة نحو أسطوانة العادم لها ، وكأنما يجذبها العادم بوسيلة مغناطيسية ، وتفاعلت مادتها الكيميائية بسرعة مع الوقود المحترق ، ثم دوى الانفجار فجأة ..

دوى في اللحظة ، التي كادت فيها سيارة النقل تلقى سيارة (مدوح) في الفوهة .. وانبعثت ألسنة اللهب ، وزاد (مدوح) من سرعة سيارته ، لابتعد عن الانفجار والشظايا والنيران ، وُحِيلَ إليه أن ارتجاج الانفجار وحده سيلقى سيارته في الهاوية ، ففتح باب سيارته ، وألقى نفسه خارجها ، وتركها تهوى إلى الهاوية ، وتنفجر بدورها في قوة ، وأسرع يعدو بين أشجار النخيل على جانب الطريق ، ليختفى عن الأعين ، ويمنح نفسه فرصة لالتقاط أنفاسه ، بعد أن أيقن من أن الانفجارين قد جذبا المنطقة كلها ، حتى وجد نفسه فجأة أمام شاطئ خاص ، يحمل اسم الشيطان .



ارتطمت به سيارة النقل في عنف هذه المرة ، حتى أن نصف سيارته تقريبًا قفز إلى الفوهة ..

حاول (ممدوح) عبثاً إقناع حارس الشاطئ الخاص ،
بصفته أحد أصدقاء (كارم) حتى يسمح له بدخول الشاطئ
الخاص ، إلا أن الحارس رفض في إصرار ، مؤكداً أن
(كارم) ، يرفض دوماً أى نوع من الإزعاج ، طوال إقامته في
شاطئه الخاص ، كما رفض الحارس حتى أن يسمح له بالاتصال
بـ (كارم) حتى فوجئ بـ (كارم) نفسه يتصل به ، ويطلب
منه السماح لـ (ممدوح) بالدخول ، فلم يملك سوى
الطاعة ، وقد أدرك أن (كارم) قد رأى ما حدث ، من خلال
منظاره المقرب ..

وعند مدخل (الشاليه) وقف (كارم) متدثراً بروب
استحمام ، وحاملاً كأساً من الشراب ، يستقبل (ممدوح)
قائلاً بالإنجليزية :

— شرف كبير أن تأتى لزيارتي في شاطئ الخاص .

أجابه (ممدوح) بالإنجليزية سليمة :

— إننى لم أتصور في الواقع أنك واسع الثراء ، إلى هذا
الحد ، يامستر ...

— (كارم) .

— (كارم منصور) ... أليس كذلك ؟

أبتسم (كارم) في خبث وهو يقول :

— إنك تتحدث العربية إذن ، وهذه اللهجة تؤكد أنك
مصرى .

— مثلك تماماً يا عزيزى ، ولا داعى لاستخدام الإنجليزية
في حديثنا .

— لا داعى أيضاً لادعاء أنك تونسى أيها المقدم (ممدوح
عبد الوهاب)

— يسعدنى أن وفرنا مقدمات التعارف ، فهذا يسهل
الأمور لكلينا .

— لماذا أتيت لمقابلتى ؟

— أنسيت دعوتك السابقة لى ، لمشاركتك الشراب ؟
يوسفنى أننى لم أحضر قبل ذلك ، ولكن غدين حاولاً قتلى ،
بإلقاء سيارتى في الهاوية ، فاضطرت إلى الإطاحة بهما من
فوقها أولاً .

— كيف ؟

— سقطت عليهما صاعقة من السماء .. والآن أين هذا
الشراب ؟

تظاهر ، وهو يلقي عبارته الأخيرة ، بأنه لم يلحظ احتقان
وجه (كارم) وهو يقول :

— أفي (الشاليه) تحب أن تتاوله ، أم هنا ؟
— أيمكن أن يضحى المرء بالجلوس على شاطئ ساحر كهذا ؟

جلسا فوق مقعدين خشبيين ، تظللهم مظلة كبيرة ،
وأحضر لهما أحد رجال (كارم) بعض العصائر ، فتشممها
(ممدوح) في حرص ، جعل (كارم) يضحك قائلاً :

— أتخشى أن أدس لك سُمًا أو مخدرًا ؟
— لست أستبعد شيئاً ، على من يرسل سيارة نقل لقتلى .
— أظن حقاً أنني أسعى للتخلص منك؟! .. أى اتهام
مُجحف هذا أيها الصديق !؟

قال (ممدوح) بلهجة جادة :
— إنها الحقيقة ياسيد (كارم) ومادمنّا قد كشفنا
الأوراق فلتواصل ذلك حتى النهاية .. صحيح أنك قد
حصلت على الجنسية الكندية ، ولكنّ الدماء المصرية ما تزال
تجرى في عروقك ، فكيف أمكنك أن تخون بلدك ، وتشارك في
عملية ابتزاز وضيعة كهذه ؟

أجابه (كارم) بلهجة جافة متعجرفة :
— إننى لم أعد أنتمى لدولتك أيها المقدم ، ولست أذكر

منها سوى ذراعين صناعيين ، يجلّان محل ذراعين فقدتهما
هناك ، ولم تحاول دولتك تعويضى عن فقدتهما على نحو جيّد .
— تقرير الحادث يؤكد أن خطأك في التشغيل هو
السبب ، وأظن أن الدولة قد أرسلتك للعلاج في الخارج ، ولم
تبخل بأية مصاريف .

— أظن هذا تعويضاً مناسباً . أعتبر خمسين ألفاً من
الجنهيات تعويضاً مناسباً للذراعين عالم .

— هناك من يبذلون أرواحهم من أجل الوطن ، دون أن
ينتظروا قرشاً واحداً ، وعلى الرغم من ذلك ، فأنا هنا لأقدم
لك عرضاً مغرياً ، أتمنى ألا ترفضه .. إننا على استعداد
للتغاضى عن مشاركتك في هذه الجريمة ، وإصدار عفو عام
عنك ، لو قبلت إرشادنا إلى مخبأ الكمبيوتر .. بل سنعيد إليك
الجنسية المصرية .

أطلق (كارم) ضحكة عالية ، وقال في استخفاف :
— يالكم من أغبياء !! أتصورتم أنني سأرقص فرحاً
وأعيد إليكم الكمبيوتر ، لمجرد أنكم ستصرون عفواً عن
جرائمى ، وتعيدون إلى جنسية رفضتها منذ سنوات ؟
وحجّظت عيناه على نحو جنونى ، وهو يستطرد :
— اسمعنى جيّداً أيها المقدم .. أنا الآن عضو في منظمة

دولية ، يهمنى نشاطها على معظم دول العالم ، ولها وحدها
أدين بالولاء ، وهى التى كلفتنى الإشراف على تلك العملية ،
وتنفيذها إلى النهاية ، وجوالى هو أن المبلغ المطلوب قد تضاعف
إلى مائتى مليون دولار . نظراً لتدخلك فى شئوننا ، وليس
أمامكم سوى يومين فاحسب ، وبعدهما سأنسف المفاعل ،
منطقة (وادى النظرون) كلها .

غمغم (ممدوح) فى أسف :

— لقد أضعت فرصتك الأخيرة إذن .

ضحك (كارم) قائلاً فى سخرية :

— يالك من متبجح !!! إنك لا تملك أية فرصة للنجاة .

وبإشارة من يده ، وجد (ممدوح) نفسه محاصراً بثلاثة

رجال يصوبون إليه مدافعهم الرشاشة فى شراسة .



١٠ — صندوق الموت ..

كان السكون يحيم على المكان ، عندما استعاد (ممدوح)
وعيه ، بعد الضربة التى تلقاها على مؤخرة عنقه ، من أحد أعوان
(كارم) ، ولقد شعر بصداع شديد ، وبعجز عن الحركة ،
داخل صندوق زجاجى أشبه بالتابوت ، وُضع فوق منضدة
معدنية قائمة ، جعلت المشهد كله أشبه بكابوس مخيف ، خاصة
عندما تراءى له وجه (كارم) الساخر فجأة ، من خلف
الصندوق ، وهو يتسم ابتسامة شيطانية مخيفة ..

وعلى الرغم من محدودية حركته ، حاول (ممدوح) جاهداً
أن يدفع غطاء الصندوق الزجاجى دون جدوى ، حتى رأى
شخصاً يقترب ، حاملاً أسطوانة معدنية ، أشبه بأسطوانات
الأكسوجين ، وقد زودت بيد معدنية طويلة ، تنتهى بمضخة قوية ،
بدلاً من الخرطوم التقليدى ، وسمع صوت (كارم) يأتیه عبر
ميكروفون صغير داخل الصندوق ، وهو يقول فى سخرية :

— أنصحك ألا تبذل جهودك ، فى محاولة تحطيم سجنك

الزجاجي ، فهو من نوع خاص ، مضاد للكسر والصدمات ، وهو أحد وسائل (الكوبرا) المبتكرة ، فبعد لحظات ، سيدس رجالى مضخة هذه الأسطوانة ، فى ثقب خاص بالصندوق ، ثم يملئون فراغه الداخلى بغاز (اليسير) السام ، وعندئذ ستدهشك التغيرات العديدة ، التى ستطرأ على جسدك ، والتى ستبدأ بعرق غزير ، ثم ارتخاء فى الأطراف ، واحمرار فى الجلد .. وعندما يتغير ذلك الاحمرار إلى اللون الأزرق ، سيعنى هذا أن الغاز السام قد اختلط بدمايك تماماً .

قال (ممدوح) من خلال الميكروفون الداخلى .
— ابتكار طريف ، ولكنه إهدار للوقت والمعدات ، فالوسائل السريعة أكثر أمناً .

قال (كارم) ساخراً :

— لا تحاول التهوين من شأنك وشأننا أيها المقدم .. إن وسائلنا أكثر رهبة من القتل العادى ، خاصة عندما نرسل جثتك بعدها ، داخل تابوت عادى ، إلى سفارتكم هنا ، ومعها قائمة بشروطنا الجديدة ، ومضاعفة المبلغ المطلوب ، وأظن أن مظهر جثتك وحده سيدفعهم لقبول كل شروطنا ، بعد أن يتيقنوا من أنهم يواجهون منظمة قوية ، وخصماً

لا يرحم ولا يتهاون ، وأنا أستطيع ، بواسطة مؤشر الأسطوانة ، أن أضخ الغاز فى قوة ، فأقتلك فى لحظة واحدة ، إلا أننى أحب أن أشاهدك تموت فى بضع ، لأستمتع بمراحل العذاب ، التى ستمرّ بها قبل موتك ، فلقد تسببت فى خسائر كثيرة لرجالى ، بعد أن ألقىت اثنين منهم فى الهوة ، وقتلت آخر ، وأخفيت (جلايد) و (مارك) . وبهذه المناسبة أحب منك أن تعلم أن رجالى قد توصلوا إلى (جلايد) و (مارك) ونجحوا فى تحريرهما ، بعد معركة عنيفة ، قُتل خلالها عدد كبير من رفاقك ، وهذه رسالة تحذير أخرى لحكومتك .

توقّف لحظة ، لينقر على أسطوانة الغاز السام بأصابعه ، فأسرع أحد رجاله يدير مؤشرها ، ويحرك ذراعها المعدنية ، استعداداً لدفعها فى الثقب الخاص ، فى نهاية الصندوق ، على حين استطرد (كارم) مبتسماً :

— وداعاً أيها المقدم ، من المؤسف أنه ليس لدى الوقت الكافى لرؤيتك تموت ، ولحضور المشهد الختامى فى حياتك الحافلة ، إذ صدرت إلى الأوامر من رئاسة المنظمة ، بالتوجه فوراً إلى حيث أخفينا الكمبيوتر ، للإشراف على العملية ،

والاستعداد لتسليمه ، أو تحويله إلى آلة دمار ، في حالة رفض
حكومتكم الرضوخ لنا .

قال (ممدوح) :

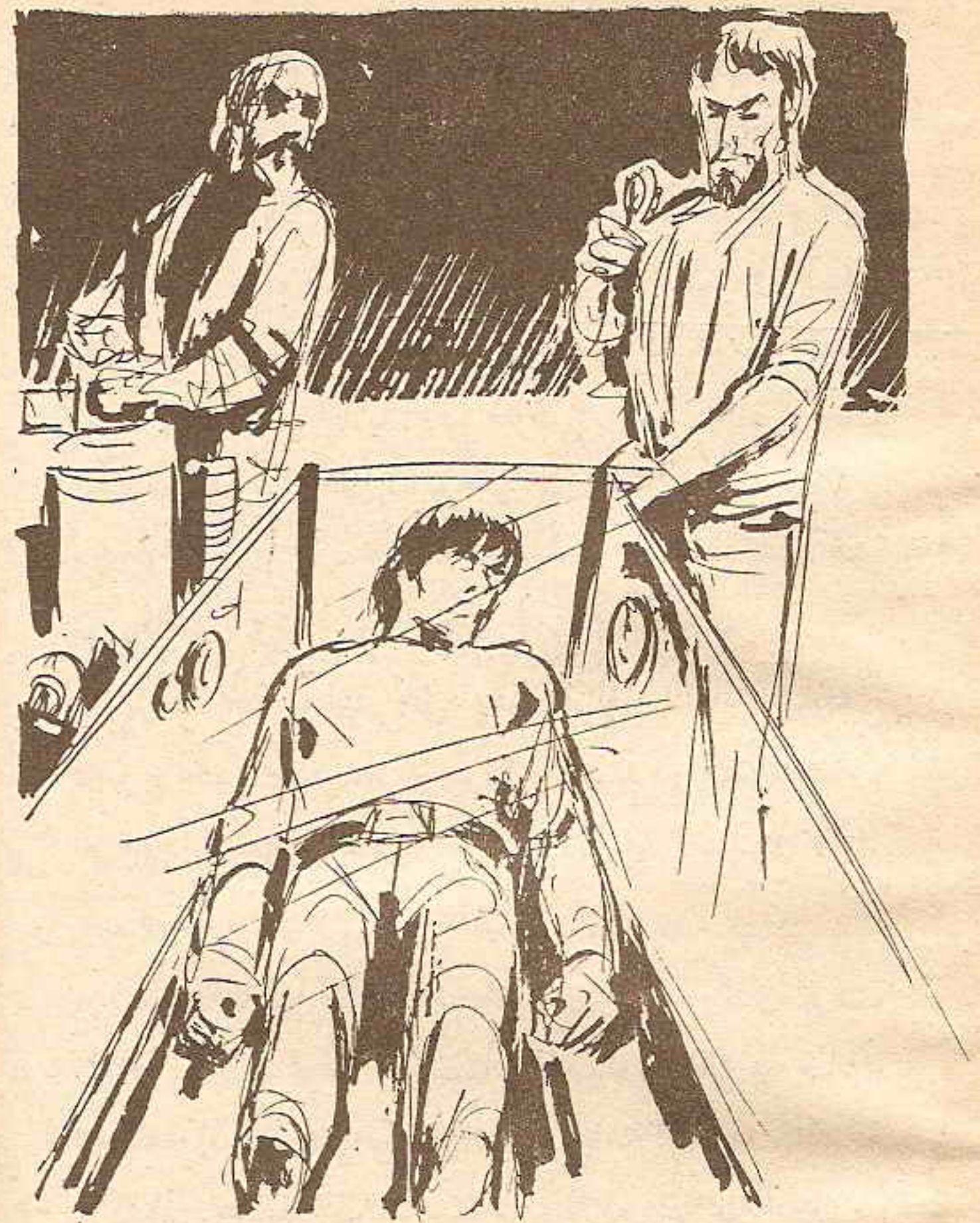
— هل لك في أن تحقق لي رغبة أخيرة ، فتخبرني أين
الكمبيوتر ؟

— ولماذا أخبرك ؟

— أما زلت تخشاني ، وأنا راقد داخل صندوق الموت هذا ؟

أطلق (كارم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— يالك من أحق مغرور !.. أتظننى أخشى جثة
هامدة ؟.. إن أمرك يعدّ منتهياً يارجل ، ومادامت رغبتك
الأخيرة هي معرفة مخبأ الكمبيوتر ، فسأخبرك به .. لقد
أخفيناه داخل كهف الشيطان ، بالقرب من (العلمين) على
مسافة أربعين كيلو متراً في موقع المفاعل ، وهناك ثلاثون
شخصاً ، من البدو وقطاع الطرق الأشداء لحماية الكهف ،
دون أن يدروا ماذا بداخله ، وعلى رأسهم اثنان من أعوانى ،
والجميع مسلحون بأحدث أسلحة الفتك والدمار ، لقتل أى
شخص يقترب ، ولو كان مجرّد عابر سبيل .. والآن يمكنك أن
تُفضى بهذا السرّ إلى شياطين الموت ، الذين ستلتقى بهم في
الجحيم .



على حين استطرد (كارم) مبتسماً :

— وداعاً أيها المقدم ..

ثم غادر المكان بصحبة معاونه ، على حين أخذ الغاز يتدفق داخل الصندوق في بطاء ، مما دفع (ممدوح) إلى أن يبدأ العمل على الفور ، قبل أن يسرى الغاز في جسده ، ويشل أطرافه ، فجاهد ليضم إحدى ركبتيه إلى صدره ، وبذل في ذلك جهداً هائلاً ، وهو يشفط معدته إلى الداخل ، حتى نجح في ضم ساقه اليمنى إلى صدره ، ثم رفع رأسه قليلاً عن قرار الصندوق ، وهو يمد يده إلى إصبع قدمه الكبيرة ، وانتزع من حوله قشرة رقيقة ، من العسير تميزها عن الجلد الآدمي والتقط من أسفلها قرصاً دقيقاً ، تثبت في الجزء العلوي من الصندوق ، وأحكم إلصاق أطرافه ، ثم التقط من حزامه فتيلاً ، لا يزيد طوله على ستة سنتيمترات ، ثبت أحد طرفيه أسفل القرص ، وترك الطرف الآخر مدلى أمام عينيه ، وأخذ يلهث من فرط المجهود ، وبدأ يشعر بالغاز السام يتسلل إلى جهازه التنفسي ، ويضعف مجهوده ، وبدأت له المسافة بينه وبين طرف الفتيل بعيدة ، وهو يتناول من جيبه عود ثقاب خاص ، له رأس فسفورية ، وحك رأسه في زجاج الصندوق في صعوبة ، وكأنما يبذل جهداً رهيباً ، وأشتعل عود الثقاب على الفور ، فأشعل به الفتيل ، وأدرك في نفس اللحظة أن المرحلة الأولى من موته قد بدأت ، فقد كان جسده كله يتصبب بعرق غزير .

١١ — كهف الشيطان ..

دوى انفجار مكتوم ، وفتح (ممدوح) عينيه ، ليرى الغطاء الزجاجي وقد انشطر إلى نصفين ، فدفع نفسه دفعاً للنهوض خارج الصندوق ، وهو يشعر بإعياء بالغ ، ثم لم يلبث النشاط أن عاد إلى جسده ، فقفز خارج الصندوق ، في نفس اللحظة ، التي اقتحم فيها الحجرة رجلان ، إثر الانفجار المكتوم ...

وبحركة سريعة ، التقط (ممدوح) أسطوانة الغاز ، وأدار مؤشرها إلى الحد الأقصى ، وسلط مضختها نحو الرجلين ، اللذين تأهباً لإطلاق النار ، وجذب الذراع المعدنية ، فانطلق الغاز السام في وجهيهما .

وسعل الرجلان في شدة ، وسقط سلاحهما ، وتقلصت عضلات جسديهما في قوة ، ثم سقطا جثة هامدة ، وتسرب الغاز من باب الحجرة ، ليفتك بكل من يحاول اقتحامها من رجال (كارم) على حين أسرع (ممدوح) يلتقط أحد المدفعين الرشاشين ، وفتح نافذة الحجرة الوحيدة ، وقفز منها ، من ارتفاع

طابقين ، إلى رمال الشاطئ الناعمة ، ثم اندفع نحو زورق بخارى
يرسو على الشاطئ ، ولكن رجلين من اتباع (كارم) اعترضوا
طريقه ، فما كان منه إلا أن أرداهما قتيلين برصاصات مدفعه ،
وألقى نفسه داخل الزورق ، وانطلق به بأقصى سرعة ،
متجاهلاً الرصاصات ، التي انتهالت حوله كالطر .

في الصباح التالي ، في إحدى المناطق القريبة من (العلمين)
كان (ممدوح) وزميله (رفعت) وبصحبتهم زميل آخر ، يقطعون
الصحراء ، برفقة بدوى متمرس ، عندما استوقفهم البدوى
فجأة ، وأشار إلى موقع تكاثفت فيه الكثبان الرملية ، وهو يقول :
— هذه رمال متحركة ، ومنذ هذه اللحظة ستسيرون
خلفى في خط مستقيم ، وعليكم أن تطيعوا إشاراتي جيداً ،
وإلا وجدتم أنفسكم في أعماق الرمال .

أطاع الثلاثة تعليمات البدوى ، وساروا في حرص
وحذر ، طوال ساعة كاملة ، ثم توقف (رفعت) ليحفف
عرقه ، قائلاً :

— أظن أنه لا يجسر على المجئ إلى هذا الجحيم سواك ،
ياشيخ (زيد) .

أجابة البدوى في فخر :

— لا أحد يعرف أسرار هذا المكان سوى عائلتى ، ونحن
نتوارثها جيلاً بعد جيل ، وإن لم تعد لتلك الأسرار فائدة ، بعد
أن نصبت آبار المياه ، التي كنا نلجأ إليها في أيام القحط .
ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— ولكن ها هي ذى الظروف تضطرنا للاستعانة بأسرار
عائلتك ، في مهمة وطنية شديدة الخطورة ، وأعتقد أن اختيار
الإدارة لك جاء موقفاً للغاية .

شد البدوى عقاله فوق رأسه ، وهو يشير إلى إحدى الآبار
القديمة قائلاً :

— سترى أيها الأخ الكريم ، أننى لن أخيب ظنك ، فهذا
هى ذى البئر المؤدية إلى كهف الشيطان .
بلغ أفراد المجموعة البئر ، التي جف مأوها ، وقال
(ممدوح) :

— هنا تنتهى مهمتك ياشيخ (زيد) وتبدأ مهمتنا .

ولكن الشيخ (زيد) رفع يده محتجاً ، قائلاً :

— مهمتى لا تنتهى إلا بالاطمئنان على سلامتكم ، سأبقى
إلى جوار هذه البئر ، بانتظار عودتكم الظافرة بإذن الله .
ربت (ممدوح) على كتفه ، وشد على يده في حرارة ، على

حين راح (رفعت) وزميله يربطان جبلهما في جذع نخلة قريبة ، استعدادًا للهبوط داخل البئر .

وباستخدام كشاف ضوئي ضخم ، هبط الثلاثة إلى قاع البئر ، ولم تكد أقدامهم تلمس أرضيتها الرخوة ، حتى دفعوا أجسادهم داخل فجوة ضيقة ، تؤدى إلى طريق صخري ، متدرج الارتفاع ، زحف فوقها الثلاثة بأيديهم وأرجلهم ، حتى أشار (ممدوح) إلى (رفعت) بإطفاء الكشاف ، بعد أن بدا له بصيص من الضوء ، عبر فرجة ضيقة بين الصخور ، وأطاع (رفعت) على الفور ، على حين راح الثلاثة يتطلعون عبر الفرجة إلى داخل الكهف ، حيث أحاط (كارم) وخمسة من الرجال المسلحين بالكمبيوتر ، الموضوع داخل صندوق معدني متوسط الحجم ..

لقد وصلوا إلى كهف الشيطان .

على بعد عدة أمتار من مدخل الكهف ، وقف شخص في ثياب بدوية ، يلوح لمجموعة من رفاقه ، وهو يشير إلى جهة ما ، فبرز فجأة عدد من الرجال ، من أماكن متعددة ، وقد التفت أحزمة الرصاص ، والبنادق والمدافع الآلية حول صدورهم ،

وراحوا يطلقون عواءً أشبه بعواء الذئاب ، وبرز (جلايد) من خلف كتلة صخرية ضخمة ، مرتدياً زياً بدوياً ، وواضعاً عصاة سوداء فوق إحدى عينيه ، التي أتلفتها الشظايا الزجاجية ، وقال لأحد هؤلاء الأشخاص في انزعاج :
— ماذا حدث ؟

أجابه البدوي الملتحي ، في لهجة لا تقل عنه انزعاجاً :
— هناك قافلة من البدو ، تتحرك بالقرب من هنا .
قال (جلايد) في عصبية :

— قافلة ؟! .. امنعوهم من الاقتراب على أى نحو .
غمغم الملتحي :

— ولكن هذا سيثير ريبتهم بالتأكيد ، فالصحراء ملك للجميع .

هتف (جلايد) بمزيد من العصبية :

— فلتذهب ريبتهم إلى الجحيم .. اقتلوهم جميعاً .. إننى أشك في أنها قافلة حقيقية .

أحاط المسلحون بالقافلة ، واتجه الملتحي إلى شيخها ، قائلاً :

— ما الذى أتى بك إلى هذا المكان المنعزل يا شيخ ؟
أجابه الشيخ في غضب ، وهو يجلس فوق جملة :

— بأى حق تعترضون طريقنا ؟ .. أنتم قطاع طرق ؟ إننا
في طريقنا الى (العلمين) .

أجابه الملتحى فى خشونة :

— هذا ليس طريق (العلمين) يا شيخ .

وفجأة أبرز احد رجال القافلة مدفعاً رشاشاً ، من أسفل
عباءته ، وقال فى صرامة :

— استسلموا .. إننا رجال حرس الحدود .

وبسرعة برزت الشباب العسكرية من أسفل العباءات ،
فأسرع رجال (كارم) الذين يختفون خلف الصخور ،
يطلقون النار ، وظهرت هليكوبتر مصرية حربية فجأة ،
واتجهت نحو ساحة المعركة .

وتحوّلت المنطقة إلى جحيم حقيقى .

جحيم فتح أبوابه على مصراعيها ..

١٢ — صراع مع الزمن ..

ارتجف (كارم) فى شدة ، إثر سماعه صوت الرصاص ،
وهتف فى توتر :

— ماذا يحدث بالخارج ؟

قبل أن ينتهى من سؤاله ، كان (جلايد) يندفع إلى داخل
الكهف ، هاتفاً فى اضطراب :

— قوات الأمن المصرية تحاصر المكان .. إنهم يهاجموننا من
كل الاتجاهات .

احتقن وجه (كارم) وهو يهتف غاضباً :

— أريدون المواجهة ؟ فليتحملوا نتائجها إذن .

ثم اندفع نحو الكمبيوتر ، لبدأ تشغيل برنامج التفجير
العكسى ، الذى يمكنه — عن طريق البث اللاسلكى
المغناطيسى — تدمير المفاعل خلال عشرين دقيقة فحسب ،
وهنا دس (ممدوح) قبلة صغيرة فى الفرجة الصخرية الضيقة ،
فانفجرت لتصنع فجوة مناسبة ، قفز عبرها مع زميليه ، وشهر
الثلاثة أسلحتهم ، وهتف (ممدوح) فى لهجة أمرة :

— انتهت لعبتك الشيطانية يا (كارم) استسلم مع رجالك .
 وفجأة قفز أحد رجال (كارم) من خلف نتوء صخري ،
 وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو رجال الأمن الثلاثة ،
 فسقط الرائد (فتحى) صريعاً ، بعدة رصاصات في ظهره ، على
 حين أسرع (ممدوح) و (رفعت) يتخذان مواقع دفاعية خلف
 الصخور ، وبدءوا يتبادلون النيران مع أعوان (كارم) ،
 وسرعان ما أصيب (رفعت) برصاصة في كتفه اليمنى ، فنقل
 مسدسه إلى يده اليسرى ، وواصل إطلاق النار ، وأراد
 (جلايد) الانتقام من (ممدوح) ، الذى تسبب في فقدته
 إحدى عينيه ، فتسلق جدار الكهف الصخري ، محاولاً
 الالتفاف حول (ممدوح) ، ومباغتته برصاصة في ظهره ،
 ولكن الجدار المتهاك لم يحتمل ، فانهار جزء منه فجأة أسفل
 قدمه ، وكاد هو ينزلق معه إلى أسفل ، إلا أنه استعاد توازنه
 سريعاً ، وصوب مسدسه نحو رأس (ممدوح) الذى انتبه
 لذلك الانهيار الجزئى ، فانقلب على ظهره فى سرعة ، وأطلق
 رصاصات مدفعه ، فأصاب (جلايد) ، وأسقطته من أعلى
 لترطم بأرضية الكهف جثة هامدة ، وهنا صاح (ممدوح) فى
 (كارم) :



فانقلب على ظهره فى سرعة ، وأطلق رصاصات مدفعه ،
 فأصاب (جلايد) ، وأسقطته من أعلى .

— استسلم للهزيمة يارجل .. لم يعد هناك أمل في النجاة ..
هناك قوات أمن ضخمة ، في طريقها لاقتحام الكهف ، ولن
تجديك المقاومة

صرخ (كارم) في هستيريا :

— أنت واهم أيها المقدم .. لن أسمح لأيديكم القدرة بالنيل
منى أبدا .. لقد أشعلت برنامج التفجير ، وستعلم بعد دقائق أن
حماقتك ورجال الأمن جعلتكم تخسرون المعركة .

شاهده (ممدوح) من مخبئه ، يحمل الصندوق المعدني ،
الذي يحوى الكمبيوتر ، بعد أن أوصده عليه في إحكام ،
ويلقيه بمعاونة أحد رجاله داخل إحدى فجوات أعماق
الكهف ، ثم يقفز خلفه ، ولم تمض بعدها لحظات ، حتى اقتحم
رجال حرس الحدود الكهف ، فاستسلم من تبقى من رجال
(كارم) وغادر (ممدوح) مخبأه ، وصاح وهو يشير نحو
(رفعت) :

— أسرعوا بإسعافه .

قال له الضابط مطمئنا :

— اطمئن .. معنا طبيب متخصص ، وأدوات إسعاف
كاملة .

لم يسمع (ممدوح) العبارة كلها ، إذ أسرع يقفز خلف

(كارم) في نفس الفجوة ، التي تبين أنها فتحة بئر قديمة ،
ما زالت تمتلئ بالمياه الراكدة ، سبح (ممدوح) فيها ، بحثا عن
المخرج الذي اتخذته (كارم) ، مع جهاز الكمبيوتر ، حتى
كشف فجوة أسطوانية واسعة ، أسفل جدار البئر ، فسبح
عبرها ، حتى أوصلته إلى نبع صغير ، يتوسط واحة منعزلة في
الصحراء ، ولم يكد يرفع رأسه فوق سطح الماء ، حتى رأى
(كارم) يصوب مسدسه إليه ، قائلا في تشف :

— لا تتحرك أيها المقدم .. ستبقى هكذا طوال ثلاث
عشرة دقيقة ، حتى ينفجر المفاعل .. أريد منك أن تشهد معي
تلك اللحظة المجيدة ، قبل أن أطلق النار على رأسك .
انطلق فجأة صوت ، من خلف جذع إحدى أشجار
النخيل ، يقول في صرامة :

— الق سلاحك أيها الرجل ، وارفع ذراعيك عاليًا ، وإلا
أطلقت عليك النار .

تطلع (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، ورأى الشيخ
(زيد) يصوب بندقيته إلى (كارم) في حزم وصرامة ، فسبح
نحو شاطئ النبع ، وهو يهتف :

— حمدا لله .. لقد وصلت في الوقت المناسب يا شيخ
(زيد) .

ضحك الشيخ (زيد) قائلاً :

— لقد اعتمدت على خبرتي ، عندما أخبرني زميلك أن عدوك قد قفز داخل البئر الراكدة ، في الكهف ، فأسرعت إلى هنا ، حيث أعلم أنها ستقودكم إلى تلك الواحة و ..

وفجأة استدار (كارم) في حركة مباغتة ، وأطلق رصاصة على الشيخ (زيد) ، الذي هوى أرضاً ، والدماء تنزف من جانبه الأيمن ، على حين وثب (ممدوح) على (كارم) كالفهد ، ولوى ذراعه خلف ظهره ، ليجبره على ترك مسدسه ، ثم سحق فكه بعدة لكمات متتالية ، أودعها كل غضبه وكرهه ، لذلك الخائن ، الذي يتصل من وطنه ، ويخونه على هذا النحو ..

وتكؤم (كارم) فوق رمال الصحراء فاقد الوعي والإدراك ، فأسرع (ممدوح) نحو الشيخ (زيد) محاولاً معرفة مدى خطورة إصابته ، ولكن هذا الأخير أشار إليه أن يتركه ، وأن يسرع نحو الجهاز أولاً ، وتطلع (ممدوح) إلى ساعته ، فوجد أنه لم يعد لديه سوى سبع دقائق فحسب ، وبعدها تزال المنطقة كلها من الوجود ، فأسرع نحو الكمبيوتر ، وجذب مزلاج الصندوق المعدني الذي يحويه ، ثم

استعان بكل ما لقنه إياه علماء الكمبيوتر ، قبل أن تبدأ المرحلة الأخيرة للمهمة ، وراح يضغط أزرار الكمبيوتر .

وبلغ توتره ذروته ، حينما كشف أنه لا يعمل بالسرعة الكافية ، لوضع برنامج يلغى برنامج التفجير ، على حين راحت الدقائق تمضي في سرعة مخيفة ، ليقتررب موعد التفجير ، فأسرعت أصابع (ممدوح) فوق الأزرار ، وبدأ الأمر أشبه بصراع مع الزمن ، بين برنامجي تدمير وسلام .

وأخيراً نجح (ممدوح) ...

نجح قبل عشر ثوان فقط من الموعد المحدد للتفجير .. وتهالك (ممدوح) إلى جوار الكمبيوتر ، وهو يلهث في انفعال رهيب ، ولكن ذهنه على الرغم من تعب وانفعاله ، لم يكن يحمل سوى كلمتين :

— لقد نجونا ..

كان قد مضى أسبوع كامل على تلك الأحداث ، عندما اجتمع كبار منظمة (الكوبرا) في نفس المكان ، أسفل معرض السيارات الفاخرة ، برئاسة زعيم جديد ، حاز لقب (السيد الكبير) بعد التخلص من الزعيم السابق ، إثر فشله في

عملية (كهف الشيطان) ، ولقد بدأ الزعيم الجديد حديثه بقوله :

— أردت اليوم أن أخبركم بأمرين هامّين ، قبل أن تمارس المنظمة نشاطها الجديد .. أوّلهما : أن هذا آخر اجتماع لنا هنا ، وسوف تخطرون بالمكان الجديد قريباً ، فصحيح أن (كارم) لن يمكنه إفشاء أسرار المنظمة ، ولكن هذا الإجراء الوقائي لا بُدّ منه ، وثانيهما : أن المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) قد صار على رأس قائمة أعداء المنظمة ، وفي اجتماع قادم ، سنحدّد من منكم سيعمل على تصفيته ، بعد ما سبّبه لنا من فشل .
وفي هذا الاجتماع ، حصل الزعيم الجديد على موافقة الحاضرين بالإجماع .

دلف (ممدوح) إلى إحدى حجرات مستشفى فاخر ، في قلب (القاهرة) حاملاً باقتى ورود ، قدّم إحداهما إلى (رفعت) ، والأخرى إلى الشيخ (زيد) ، الذي يجلس في المقعد المجاور له ، وصافحهما ، قائلاً بابتسامة ودود :
— أكل شيء على ما يرام ؟
ابتسم (رفعت) قائلاً :

— حمداً لله .. إننى أستمع برفقة الشيخ (زيد) فلديه ذخيرة لاتنضب من قصص وروايات الصحراء ، مما لا يمل المرء سماعه أبداً .

قال (ممدوح) للشيخ (زيد) مداعباً :
— أتبدو لك حياة الصحراء مشوّقة بالفعل يا شيخ (زيد) ؟

قال الشيخ (زيد) في لهجة حاملة :
— إنها أروع بكثير من تلك الحجرات الضيقة ، التى تحجب سطوع الشمس ، وضوء القمر .
ابتسم (رفعت) والتفت إلى صديقه ، قائلاً :
— هل حصلت على الإجازة ، التى منحك إياها اللواء (مراد) ؟

— لقد كدت أرفضها .
— لماذا ؟
— ليس أمامى سوى ذلك (الشاليه) على ساحل البحر الأحمر ، ولقد سئمت تلك (الشاليهات) إذ كدت ألقى حتفى فى أحدها هنا بخنجر ، وفى آخر بالغاز السام ، فى (مالطة) ، ويبدو أننى قد أصبت بعقدة نفسية منها .

— ألن تحصل على إجازة إذن ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— بل سأحصل عليها ولكنني سأتابع نصحية الشيخ (زيد)
فأقضيها داخل خيمة في الصحراء ، حيث الألفة والطبيعة ..
وحيث لا يوجد هاتف ، وهذا هو المهم .
واستغرق الثلاثة في ضحك طويل ، أنسأهم تماماً جحيم
(كهف الشيطان) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



أ. شريف شوقي

كهف الشيطان

وبحركة سريعة ، التقط (ممدوح)
أسطوانة الغاز ، وأدار مؤشرها إلى الحد
الأقصى ، وسلط مضحَّتها على الرجلين ،
الذين تأهبًا لإطلاق النار ، وجذب الذراع
المعدنية ، فانطلق الغاز السام في وجهيهما .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي

قرية الرعب

العدد القادم



التمثيل في
معرض جنتيه

وما يعادل
دولارا
أمريكا
في سائر
الدول
العربية
والعالم